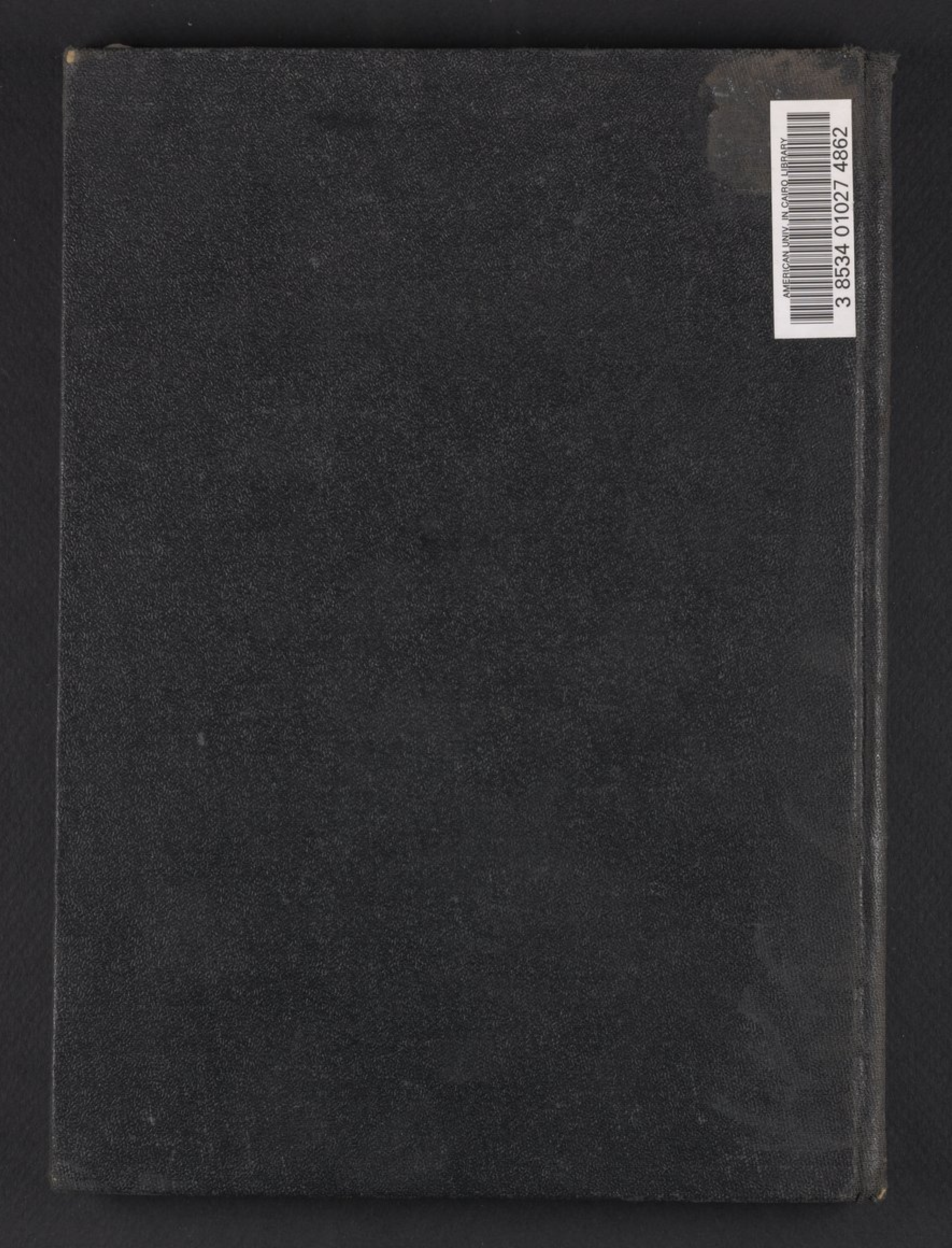
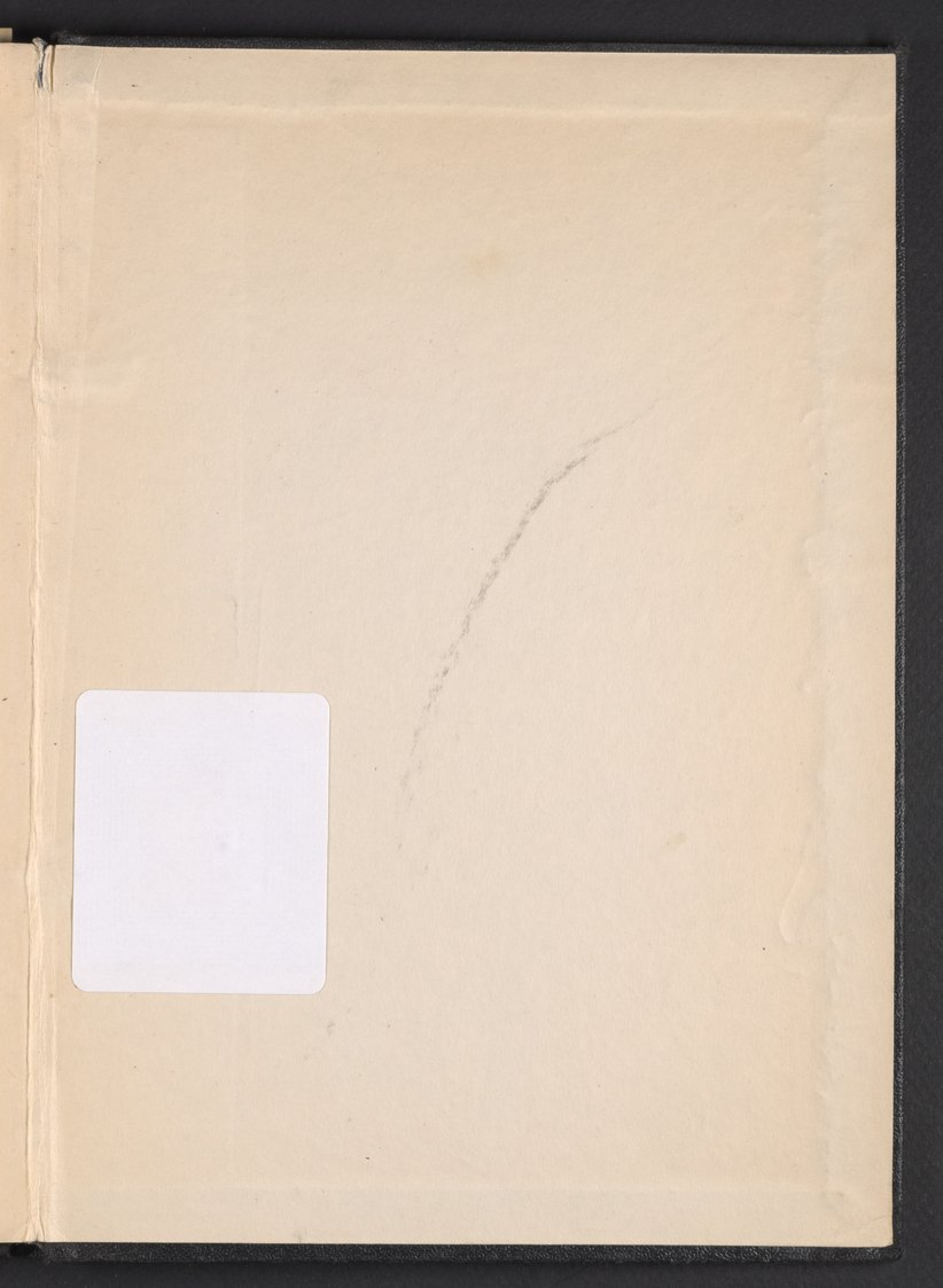
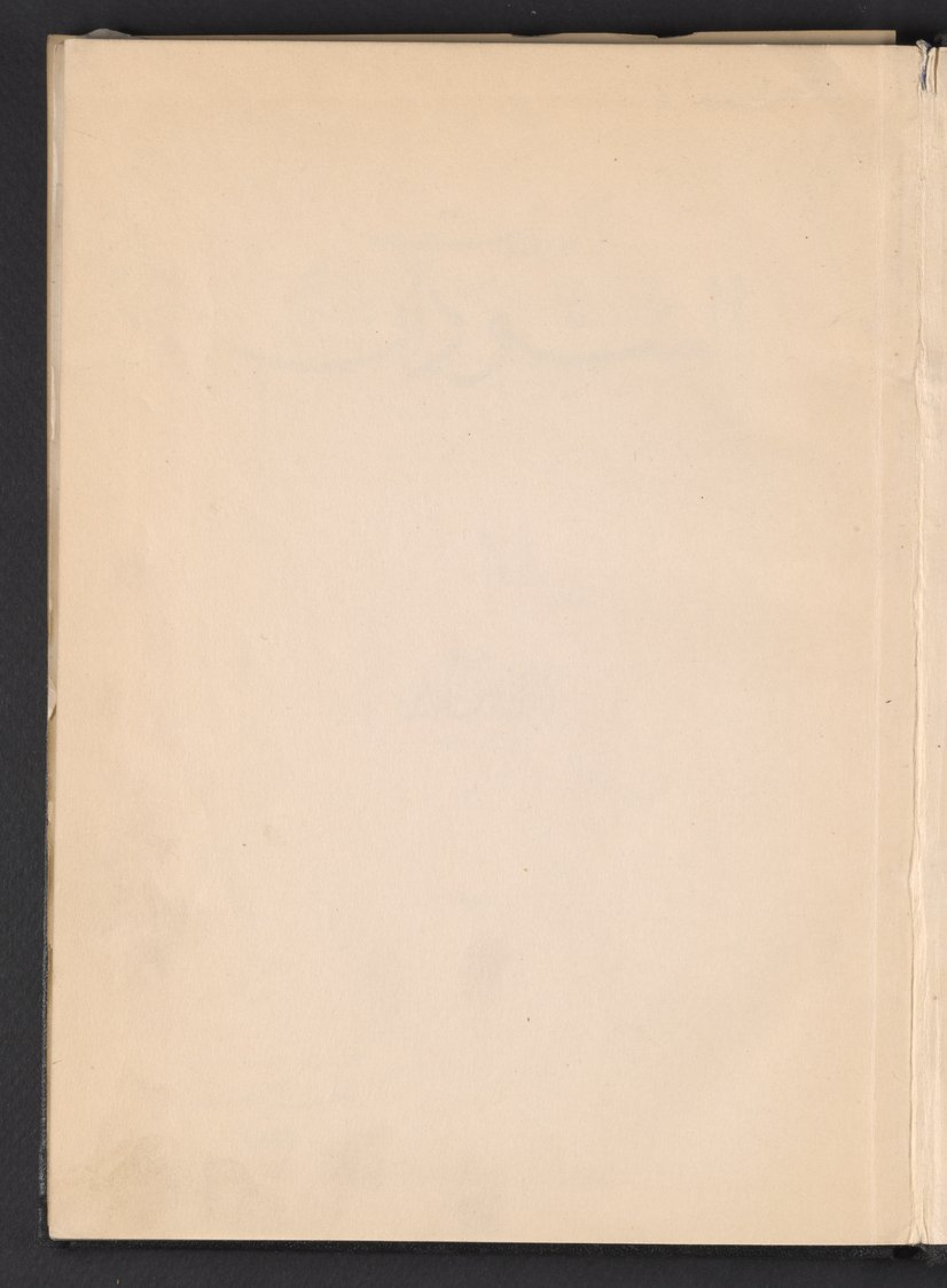

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01027 4862





ذكريات السودان

بقلم

الدكتور يوسف نحاس

١٩٥٥

المطبعة العصرية
بالقاهرة

الكتاب والمؤلف

تعريف

ما أغنى هذا الكتاب ومؤلفه عن تصدير أو تذييل ، فالكتاب يحمل فضائله بين دفّتيه ، والمؤلف يحمل مجده الشامخ على كتفيه . فأين موضعى بين هذين ؟

ولكنّ لهذا الكتاب قصّة ، هى التى أقحمت كلمتى هذه بين صفحاته .

فكلما زرت صديقى الجليل العزيز الدكتور يوسف نحاس ، والودادُ بيننا صفوٌ ، حدثنى عن السودان ، فلمس منى حديثه شغاف القلب ، لأننى عشتُ فى السودان بأكورة عمرى ، وكان أبى وآلى موظفين فى السودان .

وكلما عرّجتُ على داره أو صاحبته إلى مكانٍ خلاء ، حدثنى عن شاعرنا الكبير البرّ المرحوم الأستاذ خليل مطران ، فهزّ حديثهُ فى نفسى وتراً كثير الأنغام ، لأننى عرفت خليل مطران معرفة وثيقة لم تنفصم عروتها إلاّ يوم نعاه الناعى ، وكنتُ أماسيه وأعوده بانتظام حتى فرّقت المنيّة بيننا ، ولكنها صمدت صمود العاجز أمام ذكرى إلفين توادّا وقلبين تحالفا ، وستخلد فى نفسى ذكرى مطران تعطّر بأريجها حياتى ما دام فىّ عرقٌ ينبض وعقل يدرك وقلب يدقّ .

وما من مرّةٍ زرت فيها الدكتور نحاس ، إلاّ تشعّب بنا الحديث فى كل اتجاه ، وعاد يدور حول السودان وخليل مطران ، ففى هذين الاسمين جاذبيّة عجيبة ، ولهما سحرٌ خاص .

وفى أثناء حديث من تلك الأحاديث ، سألتُ الدكتور نحاس عَرَضاً : أفلا تستحقّ ذكرياتك عن السودان ، ولا سيما زيارتك له فى رفقة خليل مطران ، تسجيلاً ؟

وتاه السؤال فى خضمّ الحديث .

وعدتُ ألحّ فى السؤال ويلحّ فى الإعراض قائلاً : دع ذكرياتى لنفسى .

فقلت له : لستُ أتحدث عن الجانب الخاص من هذه الذكريات ، ولكننى أتحدث عن الجانب العام منها ، فهذا حقٌ مشاعٌ لا يصح أن تحتكره أو تضن به .

ومدّ الدكتور نحاس يده إلى أضابيره - وهى تلال - واستخرج منها إضبارة كتب عليها « رحلتى للخرطوم من ٢ يناير ١٩٤٥ إلى ٤ مارس ١٩٤٥ » ، وأخذ يقلّب صفحاتها ويتلو أوراقها الكثيرة المبعثرة ، ويتصفح ما دوّنه من مذكرات وما نشره من فصول وما تلقاه من كتبٍ وما احتفظ به من بطاقات ، ثم قال لى : خذ هذا الورق ، فإن وجدت فيه فائدة عامة ، فقد صار ملكا للناس جميعاً ، وإن انتفت منه الفائدة وخلا إلاّ من الجانب الخاص ، فقد حقّ لى أن أحتفظ به لنفسى .

وبعد أيام سألنى الدكتور نحاس : أأنشره أم أطويه ؟

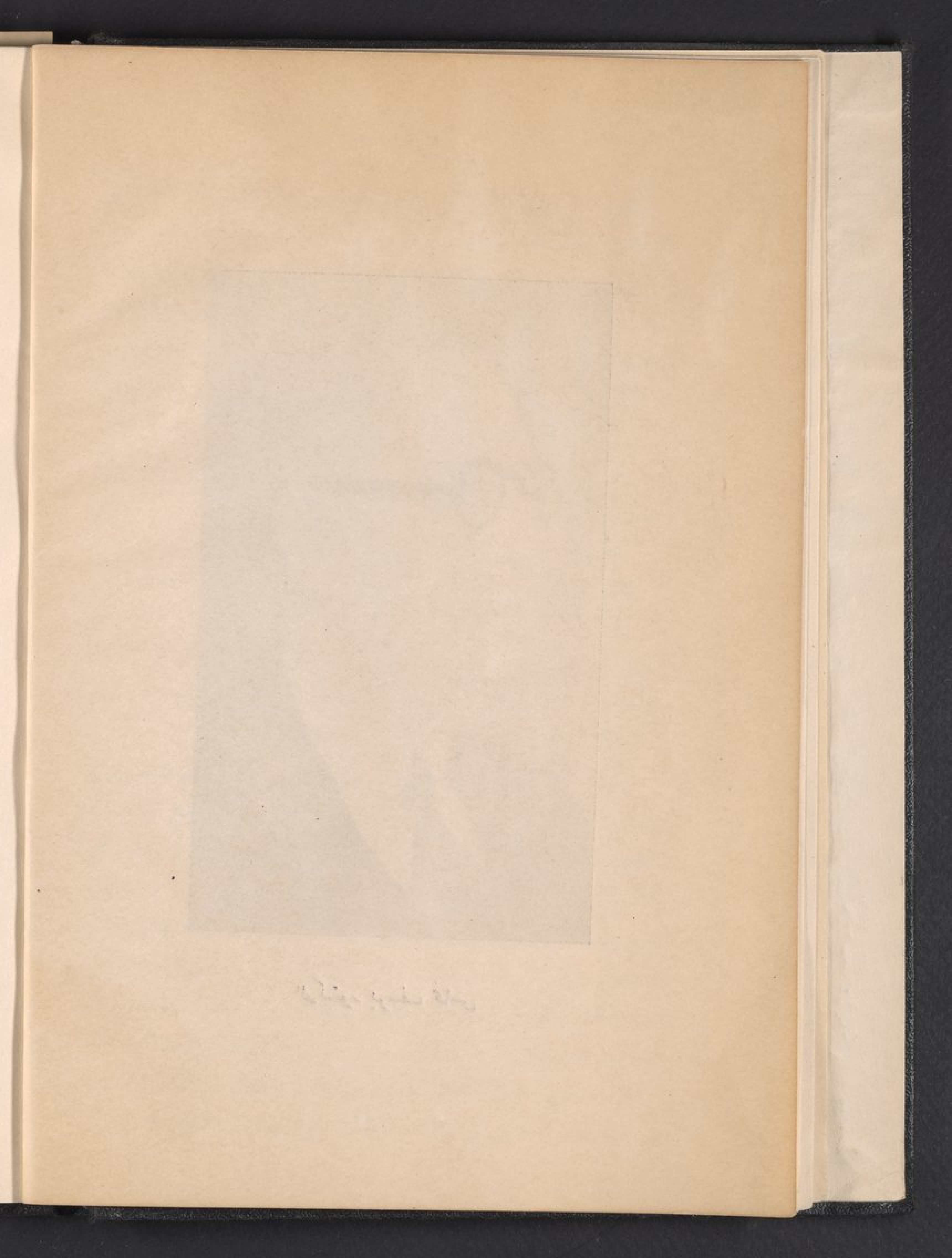
فقلت : بل انشره ولا تطو شيئاً ، فمثلك يصنع التاريخ وهو لا يدرى .

وقد سعدتُ كثيراً بُقربى الدكتور نحاس ، وخبرتُ كثيراً من اتصالى به ، ولا يزال مرجعى كلما استعصى علىّ أمرٌ وملاذى كلما استشكل علىّ شأن . وقد هيأ لى عملُ الصحافة أن أرجع إليه كثيراً كلما عرض لى موضوع ذو إبهام وكلما أعوزنى رأى سديدٌ فى بابٍ من أبواب الاقتصاد .

وعرفت الدكتور نحاس فضلاً عن ذلك أديباً مبرزاً ، مجلو العبارة فصيحها ، يملك ناصية اللغة ويجدّد فيها بما يستنبطه من مصطلحات دخلت علم الاقتصاد ، ويحفظ الشعر ويستعيده بحافظةٍ منيعةٍ تتأبى على النسيان ، ويرتجل الرأى الحكيم ولا سيما فى ميدان تخصصه ، ويجاهر بما يعتقد ، لا يثنيه عن ذلك وعيد أو تهديد . عرفته جندياً شريفاً يحارب في العلن وصدره مكشوف للطعان ، ينازل أعلام الاقتصاد منازلة الأقوياء فتكتب له الغلبة لأنه ناصر الحق وحالف المنطق وراعى مصلحة الفلاح قبل أن يرعى حتى مصلحته الخاصة . وقد أمضيتُ بين مطوّلات الدكتور نحاس التى نشرها فى الصحف فى خلال الخمسين سنة الأخيرة ، أوقاتاً كثيرة ، فبهرنى هذا الرجل المكين فى علمه ، العفيف فى لفظه ، الأديب فى ما يسطّره ، الأنيق فى عباراته ، القادر على أن يخوض المعامع بلا وجل ،



الدكتور يوسف نحاس



المتصدّى للمحن والضائقات ، لا تـكاد بوادرها تظهر فى الأفق حتى يكون صوت الدكتور نحاس نذيراً يحذر من عواقبها ويرشـد إلى وسائل دفعها . وقد أحسن الدكتور نحاس حين جمع شتات بعض هـذه الفصول والمحبرات فى كتب أربى عددها على اثنى عشر كتاباً ، ولـكن هناك من المقالات والتقارير ما يملأ عـدداً مماثلاً من المصنفات الضخام ، وليته يعجّل بنشرها ، وفاء بحق الأجيال عليه .

وعرفت الدكتور نحاس رجلاً فى الملمّات ، شهماً مع الخصم قبل الصديق . وسواء كتب أو تكلم ، فالإنصاف دينه وديدنه ، يجاهر بالحقّ ولو انقلب عليه ، ويذود عن المظلوم ولو ناله من ذلك غُـرم أيّ غرم . ولولا علل الشيخوخة ، لـكان قلم الدكتور نحاس كعهده ، سريعاً فى التعبير عما يخالج النفس ، مطواعاً فى معالجة المسائل العامة ولا سيما ما يتصل منها بالاقتصاد من قريب أو من بعيد . فالمهادنة التى آثرها الدكتور نحاس اليوم مفروضةٌ عليه على غير رغبته ، والتبعة فى ذلك تلقى على عاتق شيخوخة البـدن لا شيخوخة العقل ، فعقله ما برح شاباً ينشط فى توثب ويسبق الزمن ويسابقه .

وهذا الـكتاب صدقٌ من ألفه إلى يائه ، وكل ما فيه واقعٌ لا يأتيه باطلٌ ، فلا الأيام عَـدَتْ على أحداثه ، ولا النسيان استطاع أن يقربه . وهـذه مزيّة تطبع جميع مصنّفات الدكتور يوسف نحاس ، وهى لهذا تعدّ مراجع تاريخية يعوّل عليها كل التعويل . وما هذا الـكتاب إلا حلقةٌ من الأسفار التاريخية التى دوّنها الدكتور نحاس فى بضع السنوات الأخيرة ، فسجّل فيها ، بهذا الصدق عينه ، ذكرياته عن مفاوضات عدلى - كرزن ، وعن سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى ماهر وغيرهم من الذين كان لهم دورٌ على مسرح الحياة .

وإننى لأجد سعادةً غامرةً فى التعريف بهذا الـكتاب ، أما مؤلفه ، فحسبي أن أقول فيه ما قاله أبو شادى فى صنوه ورصيفه مطران :

هذا هو الخالد الموهوب أرفعه ... عن أن تشير إليـه أىّ إبهام

مارس ١٩٥٥ ... وديع فلسطين

مقدمة

زرتُ السودان غير مرة ، بل جعلتُ زيارته فرضاً عليّ أؤديه كل عام ما لم تحل دون ذلك عوائق من عملٍ أو من علّة . ولولا أن صحتى لم تعد تحتمل مشاقّ السفر الطويل لكنت أركض إلى السودان لأجتمع بإخوة أعزاء أنستُ بصحبتهم وسعدتُ بودادهم ، وأتابع عن كثبٍ ما يخطوه هذا القطر الشقيق من خطى حثيثة وطيدة ثابتة فى سبيل نفض آثار الاستعمار وحمل التبعة الوطنية كاملة والنهوض بأحواله الاقتصادية والاجتماعيـة والعلمية ومتابعة ركب الحضارة المطّرد السير .

وقد راقنى أن أستعيد ذكرياتى العزيزة عن السودان كلما خلوت إلى نفسى ، وأن أقلّب صفحات الماضى لأعيش بين ظهرانيه وأتنسّم عطره . وخطر لى ، وأنا أرى مواكب الرؤى تمرّ أمامي ، أن أدوّن ذكرياتي عن رحلتي إلى هـذا القطر الشقيق بل التوأم الحميم بين يومي ٢ يناير ١٩٤٥ و ٤ مارس ١٩٤٥ ، فجاء هـذا الكتاب سجلاً لتلك الرحلة التى نعمت فيها بمصاحبة الصديق الوفيّ والخلّ الكريم والأخ الأعزّ المرحوم المبرور شاعر الاقطار العربية الأستاذ خليل مطران .

وإنى لأرجو أن يكون هذا الكتاب لبنةً فى صرح العلاقات الطيبة الوثيقة النامية بين شقي الوادى ، وأن يكون صدوره مقترناً بمظاهر الرخاء واليُمن والاستقرار فى جنوب النيل وشماله .

يوسف نحاس

الفصل الأول

الرحلة الى السودان

عوّلت مع صديقى المرحوم الأستاذ خليل مطران على زيارة السودان فى مطلع عام ١٩٤٥ جريًا على مألوف عادتى ، وطلبًا للراحة والاستجمام . ولم أكن قد أعددت لهذه الرحلة برنامجًا ، ولا توخيّت من ورائها قصداً ، اللهم إلاّ أن أزور مع زوجتى وصديق الشاعر قطراً شقيقاً ترددت عليه قبلاً وارتبطت بأهله ورجاله وزعمائه بعلاقات وثيقة لا أزال أعتزّ بها وأحرص عليها .

غادرنا القاهرة بالقطار فى مساء يوم الثلاثاء ٢ يناير سنة ١٩٤٥ ووصلنا إلى الخرطوم ظهر يوم السبت ٦ يناير ، فاستقبلنا على المحطة جمعٌ غفير ، ووجدنا أنفسنا منذ وصولنا العاصمة المثلثة موضوع إكرامٍ وحفاوة من السودانيين جميعًا ، فازدحمت أيامنا بالحفلات والزيارات والرحلات ، وتكاثرت علينا الدعوات وأقيمت لنا حفلات التكريم واشترك أهل السودان جميعًا فى إظهار مشاعرهم الكريمة نحو أشخاصنا لأننا كنا نمثّل مصر فى رحلة غير رسميّة .

وقد اشترك فى تكريمنا جناب حاكم السودان العام الميجر جنرال السر هيوبرت هدلستن (باشا) والليدى قرينته وسيادة على الميرغنى (باشا) وسيادة عبد الرحمن المهدى (باشا) والمرحوم صبرى الكردى مفتش الرىّ المصري والمستر والر بتفتيش الرى المصرى والأميرالاى شعبان يوسف رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري حينذاك والقائمقام أحمد محمود قاسم الذى كان قائداً لكتيبة البنادق الخامسة المشاة ونادى الخريجين فى الخرطوم والنادى السورى فى الخرطوم ونادى الخريجين فى أم درمان ونادى وادى حلفا وملجأ القرش عدا عشرات من الدعوات الشخصية التى كنا نتلقاها فلا يسعنا إلاّ أن نتقبّلها شاكرين حامدين .

وأذكر فى هذا الصدد أنه حين تناولت الشاى بدعوة من الحسيب النسيب السيد على الميرغنى ، أراد أن يستطلع رأيى فى حالتنا الاقتصادية والسياسية فاعتذرت من عدم الافاضة فى الشؤون السياسية التى عاهدت نفسى على ألاّ أشتغل بها ، ولكننى أفضت فى شرح الحالة الاجتماعية والمالية . وكان سيادته يصغى إلىّ بكل انتباه ولا ينبس ببنت شفة ، فلمّا انتهيت من شرحى ، وكنتُ صريحاً فى إظهار ما تعانيه البلاد من مشكلات فى هاتين الناحيتين ، قال لى : إذن يا سيدى لا بدّ لكم من ثورة . فكأنما كان سيادته يقرأ كتاب الغيب ، فتحققت نبوءته بعد مضى سبع سنوات .

ولقد استرعى انتباهى مظهر البساطة فى سراى السيد الميرغنى ، على نقيض ما شهدته من البذخ والفخامة فى غيرها من القصور المنيفة .

وتعددت زياراتى للسيد عبد الرحمن المهدى ، وكنا نجول جولات واسعة فى شتى الشؤون ، ومنها الشؤون الأدبية التى كان يميل إلى الحديث فيها . وأذكر على سبيل الفكاهة أن صديقى الأستاذ إميل زيدان ، الذى كان فى زيارةٍ للخرطوم ، سألنى ذات مرّة عن مطلع قصيدة المتنبّى :

من الجآذر فى زىّ الأعاريب   حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وقال : أيستهل البيت « بمن » بالفتح أو « من » بالكسر ؟ وكان قد اختلف فى ذلك مع أحد جلساء المهدي . وكان ديوان المتنبي معى ، وهو لا يفارقنى فى تنقلاتى لإعجابى الشديد به ، فدفعت إليه بالديوان ليقنع مناظره بأنه كان على حقّ حين أكد له أن « من » استفهامية لا حرف جرّ .

ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن جلساءنا فى الندوات السودانية كانوا يميلون كثيراً إلى الموضوعات الأدبيّة . وقد أعجبنى تعطشهم إلى الشؤون الاقتصادية ، وكانوا فيها كالظمآن الذى يسعى إلى موارد المياه العذبة . ومن الأدلة على ذلك أن الصحفيين لم ينقطعوا عن التردد علىّ ومطاردتى فى الندوات التى أغشاها ملحّين فى طلب الأحاديث والبيانات المتصلة بالمال والاقتصاد ، مستطلعين رأيى فى كل فرعٍ منها ،

وكنت أجيبهم طبعاً بحذرٍ قضى عليّ به ما قد يمسّ الادارة فى السودان أو يعتبر نقداً لتصرفاتها . وقد أثبت فى فصلٍ تالٍ بعض تلك الأحاديث وما أوحته من تعليقات صحفية ، زيادةً فى الفائدة .

ولمّا كان الشيء بالشيء يذكر ، فقد تسلّمت الكتاب الآتى نصه من السكرتير العام لمؤتمر الخريجين :

أم درمان فى ٢٠ يناير ١٩٤٥

(حضرة صاحب العزة) يوسف (بك) النحاس

تحية طيبة وبعد :

أتشرف بأن أخبركم بأن بعض أعضاء لجنة المؤتمر التنفيذية المختصين بالشؤون الاقتصادية يودّون الاتصال (بعزتكم) للتحدث اليكم والاستنارة برأيكم فى بعض المسائل التى تهمهم . وهذا لما نعهده فيكم من الخبرة والدراية وعلو الكعب فى هذا المضمار . فنرجو من (عزتكم) أن تفيدونا بالموعد الذى يناسبكم لهذه الزيارة . وتفضلوا بقبول فائق احترامنا .

المخلص

السكرتير العام (امضاء)

فحددت موعداً فى الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الاثنين ٢٢ يناير فى فندق جراند أوتيل الذى كنت أنزل فيه .

وفى الموعد المعين زارنى وفد من أعضاء لجنة الشؤون الاقتصادية للمؤتمر وهم السادة الأستاذ محمد نور الدين والأستاذ عثمان خاطر والأستاذ مبارك زروق والأستاذ عثمان شندى والأستاذ حسن أبو جبل والأستاذ حسن عوض الله . وطرحوا عليّ الأسئلة التالية :

١ — مشروع الجزيرة . ٢ — الدعوة لتكوين شركات مساهمة . ٣ — إقامة معارض للصناعات المحلية . ٤ — مشروع بنك السودان .

فعن المسألة الأولى طلبت منهم تقريراً عن نظام الجزيرة الحالى وما يقترحون حتى أستطيع دراسة الموضوع وإبداء الرأى .

وعن المسألة الثانية ، وهى الدعوة إلى إنشاء شركات مساهمة ، قلت لهم إنه مشروع مفيدٌ جداً ، ويجب الاجتهاد فى إنشاء شركات بحسب ما تسمح به ظروف السودان المالية وقوانينه . . الخ .

أما المعارض فهى عظيمة الفائدة . وأما عن البنك المحلّى ، فهذه أمنيّة جليلة ، إنما ينبغى التدرج بها حتى لا يتعرض المشروع للإخفاق فيكون ذلك ذا ضرر كبير .

وقبل انصراف الوفد سلمت الأستاذ محمد نور الدين تبرعًا متواضعًا لمشروع ملجأ القرش الذى كان يرعاه قدره خمسون جنيهًا مصريًا ، وسرّنى أن أسمع من بعض أعضاء اللجنة ثناء مستطابًا على كتابى « الفلاح » ومقدمة المغفور له عبد العزيز فهمى (باشا) له .

وكذلك أرسلت إلى ملجأ «ستاك» للعجزة شيكاً بمبلغ خمسين جنيهًا تبرعًا له ، فوصلنى من السيدة الكريمة الليدى هدلستن قرينة الحاكم العام خطابًا كتبته باللغة الفرنسية التى تجيدها ، أترجمه فى ما يلى :

« لا أدرى كيف أوفّيكم حقكم من الشكر على تبرعكم السخى مساهمةً فى أعمال الخير التى أتولاها .

« فإن الشيك الذى تفضلتم بموافاتى به أثناء زيارتكم الأخيرة لى سيؤول إلى ملجأ الفقراء فى الخرطوم الذى لم يسبق له أن تلقى هباتٍ . ولقد استطعنا أن ندخل فيه ماء الشرب ، وأن نحسن تجهيز حجرة طهى الطعام وأنْ نصلح أسرّة النوم وأن نسوّى الأرض بالأسمنت ، كل هذا هيأ أحوالاً طيبة للترفيه عن العجزة المحرومين كل شىء الذين يضمهم هذا الملجأ .

« تشكراتى الحارة على مكرمتكم الطيبة ، وكونوا واثقين يا سيدى العزيز من أننى أكنّ لكم عاطفة عرفان بالجميل » .

تقرير عن الأحوال الاقتصادية فى السودان

ولمّا عدت إلى القاهرة من رحلتى إلى السودان ، أعددتُ تقريراً عن الأحوال الاقتصادية فى السودان قدمته إلى الجمعية الزراعية لدراسته ، وكذلك إلى الدوائر المعنية بشؤون الاقتصاد فى مصر والسودان .

وهذا نصّ التقرير ، وقد قدم بتاريخ ١٨ مارس ١٩٤٥ :

«لم أبغ من رحلتى إلى السودان فى هذا العام ، التى استغرقت زهاء شهرين ، سوى الاستجمام والافادة من جوه شتاء كعادتى فى السنوات السابقة . إلا أن مصاحبة صديق خليل مطران (بك) لى فى هذه الرحلة قد جعلت من المستحيل أن أتجنب مقابلة اخواننا السودانيين الكرام الذين احتفلوا بالشاعر العربى الكبير احتفالاً منقطع النظير كنت من شهوده ، فأتيح لى التحدث إلى فريق عظيم من الصحافيين ورؤساء الأندية ورجال الأعمال وأولى الرأى فتبينت فيما تبينت : —

أولاً — أن السودانيين يحبون مصر حب الأشقاء الأوفياء ، ويودون من قلوبهم أن تزداد وشائج الود بيننا وبينهم توثقاً . وقد أبدوا فى أكثر من مناسبة أسفهم من أن المصريين لا يزورون القطر الشقيق إلا نادراً ، ولا يسعون إلى تقوية العلاقات الثقافية والروابط الاقتصادية بين القطرين . وقد تجلى هذا الأسف فى متعدد الخطب والقصائد التى سمعناها فى كل حفلة من الحفلات التى أقامها نادي خريجى الخرطوم ونادى خريجى أم درمان والنادى السورى ونادى النهضة النوبية ونادى عمال الخرطوم ونادى عمال أم درمان وملجأ القرش والنادى المصرى ومدرسة (فاروق الأول) ومدرسة الأقباط ونادي حلفا بمدينتها . . . الخ ، وكلها ملأى بالعواطف الكريمة والاشادة بمصر .

ثانيًا — أن المستوى الثقافى قد ارتقى رقيًا يدعو إلى الإعجاب ، كما أن تعطش السودانيين إلى التعلم بلغ مدى يبشر بكل خير . فالمدارس مكتظة بالطلبة إلى أقصى ما تتسع له . وقد علمت من حضرة المربى المفضال الأستاذ محمد عبد الهادى

مدير مدرسة (فاروق الأول) الثانوية الذى سافر إلى الملاكال ثم عاد إلى الخرطوم أثناء اقامتنا هناك ليفتح مدرسة ابتدائية معدة لقبول نحو ٦٠ تلميذاً ، أنه تقدم اليه أكثر من ضعفى هذا الرقم من الأولاد الراغبين فى الالتحاق بها .

أما العمارة الفخمة التى تشاد الآن فى الخرطوم لتكبير مدرسة (فاروق الأول) الثانوية فقد ينتهى إعدادها فى مدى شهور قلائل . وإن الذى شاهدناه من بواكير التعليم فى العام الدراسى الأول بها قد شرح صدورنا . ولا نبالغ قط إذا قلنا إن التلاميذ أبدوا من علامات النجاح ما يعادل ، إن لم يفق ، النجاح فى مدارسنا الثانوية بمصر ، فاستبشرنا وتوسمنا الخير للثقافة المصرية فى السودان يوم يتم هذا المبنى الجديد ويؤمه العدد الكبير الذي يتسع له من التلاميذ . كذلك وجدنا مدرسة الأقباط سائرة على سنن التقدم والرقى سواء فى تعليم البنين أو البنات ، فإن هذا المعهد جدير فى نظرنا بأن ينال من حكومتنا تشجيعاً أكبر واعانة أسخى تسد العجز فى موارده ليستمر فى تأدية رسالته العظيمة على الوجه الأكمل . فإلى ذلك يحسن توجيه التفات وزارة معارفنا (ومعالى) وزيرها المفضال .

ثالثاً — أن النهضة الفكرية فى السودان قد تناولت أيضاً بشكل بارز الطموح إلى ترقية البلاد اقتصادياً . فاخواننا السودانيون ، وفى مقدمتهم خريجو المدارس ، تواقون إلى تعرف الوسائل المؤدية إلى توطين الصناعات فى ربوعهم ، وتأسيس المنشئات التى ترقى بها التجارة والصناعة .

فما أن علموا بقدمى ، حتى شرفونى بزياراتهم المتعددة ، طالبين إلىّ أن أرشدهم إلى ما يحسن عمله فى هذا الصدد . ومن الأسئلة الكثيرة التى وجهت إلىّ أذكر التالية :—

ا) ما رأيكم فى مشروع الجزيرة ، وما هي الطريقة المثلى لانتفاع السودانيين به عندما تستولى حكومة السودان على أراضى الجزيرة فى عام ١٩٥٠ .

ب) كيف تكون الدعوة المجدية لتكوين شركات مساهمة فى السودان .

ج) هل آن الوقت لتأسيس بنك السودان .

د) ما رأيكم فى إنشاء الصناعات وإقامة المعارض للمنتجات المحلية ... الخ .

وقد ألح الصحافيون أيضاً فى استطلاع رأيي فى توسيع نطاق الزراعة ، وفيما إذا كانت مصلحة السودان تتعارض مع مصلحة مصر الزراعية ، وما هو مقدار الاستعداد فى مصر لاستثمار الأراضى السودانيـة الآن ، وما الذى حال دون استجابة المصريين لدعوة البعثة المصرية فى الماضى لهذه الغاية ، وهل تعديل اتفاقية مياه النيل بما يوفر للسودان قسطاً أكبر من تلك المياه يتعارض مع مصلحة مصر ، وما هى أنجع الوسائل لتنميـة العلاقات الاقتصادية بين القطرين الشقيقين، وكيف ترون مستقبل السودان الاقتصادي... الخ . وقد أجبت على أسئلة الصحافيين فى حديثين نشر أحدهما فى جريدة النيل بتاريخ ٢٥ يناير سنة ١٩٤٥ والآخر فى مجلة « فوراوى » بتاريخ ٢١ فبراير سنة ١٩٤٥ « ألحق صورة منهما بهذا التقرير » . ثم انى طلبت الى الخريجين أن يرسلوا إلىّ بيانات أوفى عن المسائل التى يودون أن أدلى فيها برأيي حتى تتسنى دراستها بدقة .

رابعاً — أن ذوى الرأى فى السودان يودون من صميم قلوبهم أن تمد لهم مصر يدها للنهوض بالصناعة والزراعة ، وذلك بأن تشترك معهم بالفكر والمـال لتأسيس شركات تستغل المرافق الزراعية والصناعية .

خامساً — أبدى إخواننا أسفهم الشديد لعدم ممارسة الخبير الاقتصادى مهمته منـذ اتفق على وجوده فى السودان . فهو ما أن يعين ويذهب إلى الخرطوم حتى يعود إلى مصر، ثم يعين سواه، فما يلبث أن يحذو حذو الأول . والمنصب الآن شاغر لم يشغله الخبير الذى عين منذ أمد طويل ، ولم يفكر فى تسلم المهام الموكولة إليـه . فهذه حالة لا يسع كل مصرى غيور على الاحتفاظ بعلاقاتنا بالسودان إلا أن يشترك مع السودانيين فى التبرم بهـا ، والإهابة بالحكومة المصرية أن تعالجها بعلاج فعال يحتمه ما يطمح إليـه كل مصرى من جعل القطرين الشقيقين قطراً اقتصادياً واحـداً . فإذا ما ندب للمنصب رجل قدير مشبعة نفسه بهذه الأمنيـة مستعد للتضحية بشىء من رفاهيته بأن يقيم فى السودان إقامة مستمرة (وليست وسائل الرفاهية غير متوافرة فى الخرطوم ، اللهم إلا من جهة الحالة الجوية التى يتحملها نفس الانكليزى بلا مضض)

إذا ندب ذلك الرجل، فإننا نتوقع كل الخير والفائدة للبلدين من عمله . وفى صدد انتخاب الموظفين للسودان أقول إن بعضاً من المصريين والسودانيين المحبين لمصر حباً شديداً أبدوا لى عامنا هذا وفى العام الماضى أيضاً أمنية ألحوا علىّ بنقلها إلى ذوى الشأن ، وهي أن يدقق كل التدقيق فى اختيار الأشخاص الذين يرسلون ليشغلوا وظائف إدارية أو عسكرية فى القطر الشقيق ، بحيث يكونون قدوة حسنة وإعلاناً طيباً لمصر . وقد بلّغت الرسالة فى العام الماضى .

أقول ذلك مع اعترافى بأن جل الموظفين المصريين فى السودان يتخلقون بأخلاق حميدة ونشاط ملحوظ ، فضلا عما يبدونه من وطنية صادقة وتلهف لكسب مودة إخوانهم السودانيين ، وعما يتبرعون به لهم من جهد صادق لإزالة الخلافات البسيطة التى لا مندوحة من وقوعها أحياناً . ويجب أن أخص بالذكر من حضراتهم فضيلة الشيخ حسن مأمون قاضى قضاة السودان (وحضرة صاحب العزة) رئيس أركان حرب القوات المصرية بالسودان الأميرالاى شعبان (بك) يوسف (وحضرة صاحب العزة) صبرى الكردى (بك) المفتش العام لرى السودان (وحضرة) الياور المصرى لدى الحاكم العام بالخرطوم وحضرة الأستاذ محمد عبد الهادى مدير مدرسة (فاروق الأول) الثانوية ، فهم وغيرهم ممن لم أورد أسماءهم هنا يؤدون رسالة مصر فى السودان على أجمل ما يكون الأداء .

سادساً — ان حالة الزراع فى السودان بعيدة الشبه عنها فى مصر ، فإنهم لم ينالوا من ارتفاع أسعار المحصولات الزراعية شيئاً يذكر بسبب الأسعار الرسمية التى حددت لها ، فى حين انه قد أصابهم شىء من زيادة تكاليف الانتاج ، وإن كانت تلك الزيادة لا تقارن بما أصاب تكاليفنا الزراعية . وإنما هدفت الحكومة من جعل الأسعار منخفضة إلى أن لا تغمر السودان موجة غلاء المعيشة التى منيت بها مصر . وقد نجحوا هناك فى مدافعة الغلاء ، كذلك نجحوا نجاحاً يضرب به المثل فى تنظيم التموين تنظيماً محكماً مريحاً يتساوى فيه الرفيع والوضيع . كما ان الحكومة هناك قضت منذ البدء على

السوق السوداء ، وحددت أرباح التجار فى مختلف السلع تحديداً معقولاً ، لا يفكر أحد منهم سودانى أو غير سودانى فى تجاوز نطاقه خشية أن يؤخذ بالعقاب الصارم السريع الذى ينزل بمن ارتكب أصغر مخالفة . فالحالة من حيث التموين والتجارة جديرة بالإعجاب ، وان تكن حالة الزراع غير مشجعة لهم على التوسع والإتقان . ولو أعينوا إعانة ميسورة ، ونالوا قسطاً أكبر من الربح ، لكانت فرصة مواتية لحفزهم . فإن قنطار القطن السكلاريدس يشترى منهم أجود نوع منه بخمسة جنيهات للقنطار ، وعلى هذا قس ثمن سائر المحصولات والمواشى .

الاقتراحات

بعد هذا البيان ، أعرض للذين يهتمون بأمر العلاقات المصرية السودانية الاقتراحات التالية التى أستمدها مما تبينته من رغبات وأمانى ومشاهدات :

أولا — على رجالنا الرسميين أن يكثروا من زيارة السودان ، وعلى رجال المال والأعمال والهيئات الزراعية والصناعية والتجارية أن تفعل ذلك أيضاً حتى يكون فى هذا التزاور مدعاة لحسن التفاهم وتبادل المنافع وتقوية الروابط . وللحكومة رسالة ثقافية هى ماضية فى تأديتها ، وإنما نرجو أن تسخو بالاعانات لتشجيعها ، ونرجو كذلك أن تساعد على تشييد المنشئات الاجتماعية . وقد علمت انها قد اعتزمت بناء مستشفى مصرى بالخرطوم وقدرت تكاليفه بنحو ثلاثين ألف جنيه ، إلا ان هذا المشروع لم ينفذ للآن لأسباب أعتقد انه فى استطاعة (معالى) وزير الصحة الهمام إزالتها . وهذا المستشفى ضرورى للمصريين المقيمين فى السودان وللسودانيين أيضاً ، وهو من أجل الأعمال التى تخلد ذكرى مصر فى القطر الشقيق .

ثانياً — على مصر أن تشجع النهضة الصناعية التى تجلت بوادرها لنا . فإن من الصناعات ما له نجاح محقق إذا ما اشترك المصريون فى دراسة ممكناتها وتفاصيلها وساهموا

بالمال الكثير المتوفر لديهم لتشييدها . وفى السودان الآن مصانع الزجاج ودبغ الجلود ونسج الدمور وعمل الأزرار ، وهذه الصناعات وغيرها قابلة للتوسع والنماء ، وخصوصاً صناعة الدمور الذى يكتسى به سواد الأهلين منذ كان السودان يعول على اليابان للحصول عليه ويدفع لها قبل الحرب نصف مليون جنيه سنوياً ثمناً له . فإذا ما تزعم بنك مصر بمعاضدة البعثة السودانية ووزارة التجارة حركة الدعوة لإنشاء صناعات فى السودان ، كان فى ذلك الخير كل الخير من جميع النواحى للقطرين معاً .

ثالثاً — الزراعة فى السودان مفتقرة إلى المال والأيدى العاملة للانتفاع بالأراضى الجيدة التربة التى لا تزال بائرة والتى يحسن أن نوجه نظرنا إليها لزرعها واجتناء ثمراتها ما دامت الأحوال قد تبدلت منذ عام ١٩٣٥ تبدلاً يقتضينا أن نحث مواطنينا على ما كنا لا نرتئيه حين وضعت مع زميلى فى النقابة الزراعية تقريرنا فى ٢٠ مايو سنة ١٩٣٥ . على اننا قد اختتمنا التقرير بالعبارات التالية .

« أما مسألة تملك المصريين ، بعد أن تكون قد أزيلت جميع العوائق التى أشرنا إليها فى أثناء هذا التقرير ، فهى مسألة نسبية وتقديرية يرجع فيها إلى رأى كل راغب فى التملك . وقد يكون اقتناء أرض متوسطة الجودة أمراً مربحاً إذا أمكن الحصول عليها بثمن ملائم ، وأمكن استغلالها باطمئنان ، واستطاع صاحبها أن يكثر لها الأيدى العاملة ، وهى من كبريات المصاعب فى السودان ، كما أشرنا آنفاً . وجملة القول اننا ننصح للذين يخطر لهم هذا التملك ، خصوصاً إذا أخرجت إلى حيز الوجود فكرة إنشاء شركة مصرية سودانية لهذا الغرض ، أن يكون ما تبدأ به دراسة جميع العوامل الاقتصادية والزراعية فى المنطقة المراد شراؤها . . فإذا تملكت الشركة بعد المباحث الوافية ، فهى ستفيد المصريين أفراداً بخبرتها المكتسبة من ممارسة العمل ، وسيتسنى لها أن ترشدهم إرشاداً حكيماً مأمون العاقبة بقدر ميسور » .

والآن ، وقد تلاشت ، ان لم تكن قد زالت بتاتاً ، العوائق التى بيناها فى تقريرنا الآنف الذكر ، فإنى أرجو مخلصاً أن تتحقق فى القريب الفكرة التى قامت لدى صديق المفضال (حضرة صاحب السعادة) فؤاد أباظه (باشا) وبعض الزملاء المحترمين بأن

تؤسس شركة زراعية إلى جانب الشركة التجارية التى أنشأناها ونالت قسطاً مشجعاً من النجاح . وما تزال أسعار الأراضى فى السودان زهيدة جداً ، فهى تدعو إلى اغتنام الفرصة . وهناك المناطق الواقعة بحري الخرطوم ، وهى أراض تصلح للاستغلال الزراعى المربح لخصبها وقربها من النيل .

ولى وطيد الأمل أن تنظر الحكومتان المصرية والسودانية إلى هـذا المشروع بعين العطف والتشجيع ، وأن تمده بما تيسّر من المساعدات ، فيخف بذلك الضغط المتأتى من تكاثر السكان فى مصر تكاثراً يوجس الباحثون منه خيفة ، وتزداد روابط القطرين ، ناهيك بما كشفت عنه ظروف الحرب الحاضرة من أن العالم أصبح فى حاجة ماسة إلى أن تستغل الأراضى الصالحة فى كل الأنحاء والأقطار استغلالاً يقى كل بلد شر المفاجآت التى فاجأتنا بها هذه الحرب من نقص فى الانتاج الزراعى .

وربما كان من المفيد أيضاً أن يتجه التفكير إلى إنشاء الغابات فى السودان انتفاعاً بما تجود به من الأخشاب العظيمة القيمة . وقد أظهرت الحرب أيضاً مسيس الحاجة إليها ، فضلاً عما تحدثه هذه الغابات من تلطيف الجو ومنع الرياح الموسمية الشديدة .

رابعاً — مسألة مياه النيل : كل مسعى للتوسع فى الزراعة السودانية يبدو عقيماً إن لم تسارع مصر إلى الانتفاع بمياه النيل التى تذهب ضياعاً فى البحر الأبيض المتوسط ، فتحتجزها ليستفيد منها القطران الشقيقان . ولقد طال المطال على الدراسات والبحوث ، والشأن أخطر وأهم من أن نستمر فى خطة التلكؤ والتريث . وهناك من المشروعات المدروسة دراسة وافية ما يسمح بأن نبتّ فيه بلا إهمال ولا تواكل . وإلى ذلك نرجو أن تتوجه النيات الصادقة والعزائم الماضية . نسأل الله التوفيق فى خدمة السودان العزيز الذى هو قطعة من جسم مصر » .

***

ومن نافلة القول أن أذكر أن جميع الاقتراحات التى تضمّنها هـذا التقرير اصطدمت بما عطّل تنفيذها .

واليوم ، وقد تولى شؤون السودان أبناؤه البررة ، أرجو مخلصاً أن ينعموا النظر فى ما تضمنه هذا التقرير ، وأن يسيروا قدماً فى تنفيذ ما يرونه مفيداً، ويقوّموا مايحتاج منه إلى تقويم ، فلا تلقى هذه الاقتراحات فى زاوية النسيان كما كان مصير هذا التقرير وما سبقه من تقارير مماثلة .

ومما أثلج صدرى أن الصحف المصرية والسودانية عنيت يومئذ بهذا التقرير ونشرته وعقبت عليه ، ومنها جريدة الأهرام وجريدة المصرى والجريدة التجارية ومجلة الصباح ومجلة كردفان ومجلة فوراوى وغيرها .

كما تلقيت بتاريخ ٥ ابريل ١٩٤٥ خطاباً من صديق العزيز الياور المصرى لدى الحاكم العام بالخرطوم يقول فيه :

« سيدى العزيز الدكتور يوسف (بك) نحاس

« أتشرف بأن أقدم (لسعادتكم) أزكى سلامى وتحياتى القلبية ، وأتمنى لكم وللعائلة الكريمة كامل الصحة والسعادة والهناء .

« لقد كان سرورى عظيماً عند ما تسلمت خطابكم الكريم ، كما وأن تقرير (سعادتكم) وصلنى ، فأشكركم جزيل الشكر . ولقد قرأت هذا التقرير فأعجبت به حقاً ، وفيه الكثير مما يجول بخاطرى ، وقد حوى كل ما له أهمية حيوية لهذا القطر ، وبه من الإرشادات ما لو اتبع لعاد بالخير العميم على القطرين . وانى أسأل الله تعالى أن يكثر من أمثال (سعادتكم) الذين يسعون لخير البلد ويضحّون براحتهم لسعادة الآخرين . وسأعرض هذا التقرير على كل من يهمهم الأمر . وإنى أذكر بسرور وفخر تلك الآثار والذكرى العظيمة والأعمال الجليلة التى تركتها (سعادتكم) فى هذا القطر ، والتى لمسها الكبير والصغير على السواء . والكل يذكركم بثناء مستطاب . وإنى أعدّ نفسى سعيداً بتلك الفرصة السعيدة التى أتيحت لى لمعرفتكم . وأسأل الله أن يوفقكم دائماً لما فيه الخير والصالح العام .

« تحياتى وسلامى واحترامى للسيدة الجليلة حرم (سعادتكم) وأشكرها كثيراً

على ما لقيتـه منها من مكارم وعطف . واحترامى وسلامى إلى (سعـادة) استاذنا العظيم خليل (بك) مطران الذى أسر القلوب جميعاً » .

كذلك تلقيت من الاستاذ محمد نور الدين وكيل البنك الأهـلى المصرى بأم درمان يومئذ كتاباً هذا نصه :

أم درمان فى ٣٠ ابريل ١٩٤٥

(حضرة صاحب العزة) يوسف نحاس (بك)

« سلاماً واحتراماً وبعد . سعدت بوصول خطاب (عزتـكم) المؤرخ ٢٢ مارس الماضى ، وكذلك بوصول صـورة من تقريركم الجامع الوافى ، وآسف كثيراً أن حالت الظروف والمشاغل الـكثيرة دون الـكتابة اليكم قبل اليوم .

« سرّنا كثيراً أن نعلم من جوابكم موضوع الشركة الزراعية المصرية السودانية التى تعتزمون إنشاءها أنتم وزملاؤكم الميامين ، فوالله إنها لفاتحة عهد جديد فى توثيق العلاقات وربط الوشائج بين شقى الوادى الحبيب . حقّـق الله الآمال ، وكلل أعمالـكم بالنجاح ، حتى تبرزوا هذا المشروع إلى حيز الوجود .

«وسنقوم فى الوقت المناسب بنشر ما قد يكون لازماً فى الصحف المحلية هنا عن هذا المشروع حتى نعدّ المواطنين للاكتتاب بنصيبهم من رأس مال الشركة .

«أرجو أن تتفضلوا أنتم (وسعادة) مطران (بك) وحضرة السيدة الجليلة حرمكم وجميع الأهل بقبول وافر التحية وفائق الاحترام» .

و بتاريخ ٢٧ ابريل ١٩٤٥ تلقيت الـكتاب التالى من الأستاذ أحمد عثمان القاضى من كبار أعيان الخرطوم :

(حضرة صاحب العزة) المحترم يوسف (بك) نحاس .

أزكى التحيات ، وخالص الأشواق (لعزتـكم) ، وجمّ الاحترام للسيدة النبيلة حرمكم ، وبعد .

فإن خطابكم الكريم قد تسلمته فى اليوم العاشر من هذا الشهر عقب عودتي من رحلة فى الشمال ابتدأت يوم ٢٠ مارس وانتهت فى اليوم التاسع من ابريل ، فكان أن تسلمت رسالتكم مؤخراً . وإنى بعد استعلامات رسمية وغير رسمية ، وبالنظر إلى المعلومات السابقة لدىّ أخبركم بالآتي :

١ — ان نظرتكم فى زراعة الشمال نظرة صائبة ، وجميع العناصر المثبطة التى ذكرتموها حقيقية . وأزيد عليها أن الأراضى الحكومية أضيق من أن تتّسع لمشروعات كبيرة ، وما كان منها من هذا النوع فهو مشغول بالمشاريع الحكومية القائمة الآن فى أهم المناطق المتسعة .

٢ — المنطقة الجنوبية على النيل الأبيض : لقد رأيتها فى رحلتى الصغيرة التى قمت بها أثناء وجودكم بالخرطوم ، فهى إلى كوستى من الشرق ومن الغرب مشغولة بمشاريع الحكومة والأهلين . ومن بين أصحاب المشاريع السيد مصطفى أبو العلا الموجود الآن بالقاهرة ، وقد حضرتُ مؤتمراً عقد فى الدويم كان مصطفى أحد أعضائه ، وكان هذا المؤتمر — الذى رأسه المدير وحضر جلساته كل المزارعين — معقوداً لوضع تشريع للمعاملة بين المزارعين وأصحاب المشاريع . وأظن أن الأفضل أن تتصلوا بالسيد مصطفى وهو يعطيكم حقائق فيما يختصّ بحالة العمّال . ولكنى أعلم ان هناك أزمة فى الأيدى العاملة . أما جنوب كوستى ، فقد يوجد فيه عدد كبير من الناس ، ولكن أن يصلحوا للقيام بعمل زراعى مجدٍ هذا ما أشكّ فيه كثيراً ، لأن أصحاب الماشية فى السودان لا يمارسون سوى زراعة الأمطار وبقدر ما تمسّ إليه حاجة معيشتهم . وعندى ، كما قلت فى سنة ١٩٣٤ أن أى مشروع زراعى مصرى يقوم هنا يجب أن تتوفر فيه الأيدى العاملة من مصر نفسها .

٣ — ان مسألة السماح الحكومي للتملك غير موجودة هنا ، والموجود هنا هو الاستئجار . ولكن لا بدّ من إتيان المحاولة ولو لم تثمر إلا العمار ، فذلك لا بأس منه ، لأن الغرض هو استغلال رأس مال أولاً ، ثم تدريب الأهلين فى السودان على الزراعة الحديثة . وهذا كله يتوفر بمجرد وجود المشروع .

أرجو أن توفقوا فيما تعملون له من خير لوادى النيل .

وقبيل مغادرتي الخرطوم مع زميلي الأستاذ خليل مطران عائدين إلى مصر ، وجهنا إلى الشعب السوداني كلمة شكر حملتها جريدة « النيل » في عددها الصادر في ١٩ فبراير ١٩٤٥ قلنا فيها :

« أي شكر لو أردنا قضاء حقه يفي بما لقيناه منذ حلولنا في الخرطوم ، من مكارم الأخلاق والرعايات والعنايات التي بذلها لنا الزعماء الكرام وأرباب المناصب الرسمية والحرة وصفوة الأعيان وحملة الأقلام من أدباء وشعراء وصحفيين ورؤساء الأندية وأعضائها ومديري المعاهد الثقافية والملاجىء الخيرية والمؤسسات سواء أكانوا من أبناء الأمّة السودانية العزيزة أم من الجاليات العربية فيها .

لقد أعجزتنا تلك الآلاء عن أداء ما تفرضه علينا لكل فرد وكل جماعة . وعلى قدر ما أطلنا إقامتنا في هذه الحاضرة الجميلة ، بقينا عاجزين عن إبداء ما يحق لكل فرد ولكل جماعة من الحمد على ما ملأوا به قلوبنا من الفخر والسرور . فليثبهم الله كلّ خير ، وليزدهم يمناً في عيشهم وأمناً في حياتهم وتحقيقاً للأماني الشريفة الكبرى في وطنهم .

وبهذه الكلمة نستأذنهم في السفر ، ونلتمس العذر لدى كل من قصّرنا في لقائه شخصياً مودعين وشاكرين » .

والواقع أن ما غمرنا به السودانيون من آيات الودّ والكرم والتقدير والحب ألجم ألسنتنا ، وأعجزنا عن أن نفيهم حقهم من الشكران والعرفان بالجميل . ومن سوء الحظ أن شاعرنا الجهير خليل مطران كان يعاني داءً مبرّحاً أكرهه على أن يرجىء تحيته الشعرية لأهل السودان إلى حين عودته إلى مصر . فلما آب إلى الوطن نظم قصيدة عصماء جادت بها قريحته بعد عصيان أهداها إلى أولئك الإخوان الأعزاء الأوفياء .

وأدرج فى ما يلى نصّ هذه اللاميّـة الفريدة :

سألتُ نجيّتي شيئـاً يقال ... فلم تأبه ولم يُجَب السؤال
مخدّرة أبت لا عن دلالٍ ... ولو فعلت لحق لها الدلال
ولـكن مسّها ضرٌّ عراني ... ففيهـا من تباريحي كلال
إذا ماالداءُ أقعد جسم حيٍّ ... أتنشط روحه وبها عقال ؟
عليّ لصفوة نُجُبٍ حقوقٌ ... أنوء بهـا وأعباءٌ ثقـال
لقوني زائراً ولقوا صديقي ... بأنسٍ فاق ماكنّا نِخال
وأولونا القلائد فى حلاها ... تنافس الارتجال والاحتفال
فما أنا فى الوفاء وما رفيقي ... إذا ما أعجز الشكرَ النوال
قضى ماأسطاع يوسف عن أخيه ... ونعم العون يوسف والثمال
له بمودّة السودان عهدٌ ... وثيق لا ترث له حبال
تيممنا مرابعهم فماذا ... جلا فيها لنا السحر الحلال
بلاد تصطبى الأحلام فيهـا ... حقيقتها ، ويسبيها الخيال
لمجرى نيلهـا ولضفّتيه ... جمالٌ لا يباهيه جمال
وللبيد السحيقـة والرواسي ... جلالٌ لا يضاهيه جلال
وليس كأيكها أيكٌ يغنّى ... ولا كدحالهـا زأرت دحال
فإن يك شعبها كرماً وبأساً ... يمثلهـا فقد راعَ المثال
شمـائل حلوة طابت ورودا ... على مرّ الزمان وما تزال
وإقدامٌ على الجُلّى وعزم ... له إن مسّه الضيم اشتعال
بني السودان حيا الله قوماً ... بهم هذي الفضائل والخصال
لقد عبرَت بكم محَنٌ كبارٌ ... بهـا أبطالـكم جالوا وصالوا
وأعقبهـا تراك لم تذلوا ... لحكم الدهر فيه ولم تذالوا
فأما فى الغداة وقد نهضتم ... فما من عثرةٍ إلاّ تُقال
شباب أذكيـاء تلوح فيهم ... لـكل عظيمة ترجى خلال
وأشياخٌ ميامين حصاف ... تزكّى ما يقولون الفعال

فهيّا فى نواحي المجد هيّا ولا يعدم سوابقكم مجال
أعدّوا للحمى الغالي حُماة إذا قال الحمى أين الرجال
بني السودان حاجة كل قوم ليعلو شأنهم علمٌ ومال
فإن قُرنت شجاعتهم بقصدٍ وتثقيفٍ فقد ضُمن المآل
وكل محاولٍ إدراكَ حقٍ سيدركه وإن طال المطال
وهل حقٌ إليه الشعب يسعى بإيمان وصبرٍ لا ينال ؟
لكم فى مصر إخوانٌ ثقاتٌ هواهم لا تغيّر منه حال
وبينكم وبينهم قديماً وشائج لن يلمّ بها انحلال
فما عن أمركم بهم اشتغال وما عن أمرهم بكم اشتغال
وليس لمصر والسودان إلاّ وريدٌ كيف بينهما يُحال ؟
وهذا النيل نيلهما جميعاً كفى سبباً ليخلد الاتصال
أما الوادى ومجراه جنوب هو الوادى ومجراه شمال ؟
هما داران فى وطنٍ عزيزٍ وفى الدارين إخوان وآل .

الفصل الثانى

جولة فى الاقتصاد السودانى

رويت فى الفصل السابق كيف أن السودانيين كانوا متعطشين لكل حديث عن الاقتصاد والمال ، يردون مياهه ويقبلون على المشاركة فيه بوجدانٍ يقظٍ وذهن متفتح ونهمٍ شديد لا يُشكم . وكانوا يتلمسون النصيحة من كل مصدر ، ولا سيما إذا عرفوا عن مصدرٍ صدق نيته وخلوص قصده ورجاحة عقله .

وقد أطربنى كثيراً أن أكون مقصد رجال السودان والمفكرين والمشتغلين بتوجيه الرأى العام والصحافة ، وسرّنى أن أستمتع بثقتهم التى حفزتهم على طلب رأيي فى كثير من شؤون السودان الاقتصادية التى وقفت عليها فى أثناء زياراتى المتكررة لهذا القطر الشقيق .

ولم أضن على أحد بجواب ، فتلقف الصحفيون هذه الأحاديث وراحوا ينشرونها فى صحفهم ويعلقون عليها فى إفاضةٍ وترحيب أثلجا صدرى وملآنى ثقةً بمستقبل شعبٍ هذا دأبه وديدنه .

وقد رأيت أن أثبت هنا هذه الأحاديث الاقتصادية نقلاً عن صحف السودان ، لأن فيها ، على بعد الشقة ، آراء لا تزال الحاجة تدعو إلى الأخذ بها لخير السودانيين ورفاهيتهم وعمرانهم وتقدمهم . وما قصدتُ من نشر هذه البحوث مجدداً إلاّ أن أضعها بين أيدى السودانيين ، بعد ما آل أمر الحكم إليهم وألقيت اللجم فى يد إبن الوطن البار الاستاذ اسماعيل الازهرى وصحبه المجاهدين ، لعلهم يجدون فيها ما يعينهم فى أثناء سيرهم الوئيد لانهاض بلادهم .

تقدم السودان الاقتصادى والثقافى

فكانت مجلة « فوراوى » قد وجهت إلىّ بضعة أسئلة عن شؤون السودان الاقتصادية والثقافية ، فأجبت عليها بمقالٍ نشرته فى عددها الصادر فى ٢١ فبراير ١٩٤٥ وهذا نصّه نقلاً عنها :

« أما مستقبل السودان الاقتصادى ، فإنه ما يريد أبناء السودان أن يكون . فإذا نفض العامل عنه غبار التواكل الذى يغرى بالكسل ، وإذا عقدت الخناصر على استثمار ما حبت به الطبيعة هذا القطر من كنوز على سطح الأرض وفى جوفها ، ووجهت الجهود (وقد تكون فى أول الأمر جهاداً) توجيها منظماً سديداً تحت كنف إدارة ساهرة على مرافق البلاد ، فانى أجزم بأن المستقبل الاقتصادى سيكون عظيماً ، يفيض الخيرات على أضعاف أضعاف من يعيشون الآن على أديم هذا القطر ولا يستغلون إلا القليل من خيراته الوفيرة . إن العمل الأولى والأساسى لبلد يريد أن ينهض اقتصادياً هو الزراعة ، والمجال أمامها هنا لا نهاية له ، فلا يعوزكم إلا العزيمة الصادقة والتشجيع لتحويل هذه السباسب المترامية الأطراف إلى ديباجة خضراء هى النضار الوهاج . والماء ميسور توفيره مما يجرى به النيل وما تجود به الأمطار وما قد يستطاع إخراجه باحتفار الآبار ، ناهيك بما يتيسر غرسه من غابات تعطى أجود أنواع الخشب الكبير القيمة السهل التصريف فى مختلف الأقطار المجاورة . وللغابات منفعة أخرى ، هى تلطيف الجو واتقاء ضرر الرياح . ومن ينظر إلى ما قدر بعض ذوى الهمة على الوصول إليه فى هذا المضمار أمثال (سعادة) السيد عبد الرحمن المهدى وشركة الجزيرة وأسرة أبو العلا ، يوقن أن المجهود الزراعى سيكافأ مكافأة وافية إذا أحيط بالعناية وحسن الخدمة . ومن مستلزمات النهضة الزراعية أن تزيد وسائل النقل السريع الرخيص ، فإن حاجة السودان إليه لماسة .

أما مساهمة مصر فى هذا المجهود الذى يحتاج إلى أيدٍ عاملة متمرنة لا يزال السودان ، وسيبقى ردحاً من الزمن ، مفتقراً إليها لقلة عدد سكانه ، فهذه المساهمة

فيها كل الخير والبركة للقطرين الشقيقين . وإني وإن كنت قد كتبت عام ١٩٣٥ رأياً لا يحبذ هذه المساهمة تحت ضغط ظروف ذلك الزمن ، إلا انى اليوم أعدّل رأيي ، وأهيب ببنى وطنى أن يولوا وجوههم شطر السودان لزرع أراضيه البكر القوية .

وقد نبتت أخيراً فكرة فى مصر ترمي إلى تأسيس شركة تهدف إلى هذا الغرض ، ويا حبذا لو نجحت وقام غيرها وغيرها ، وزالت كل عقبة تعترض هذا التعاضد . وفى خدمة الزراعة أقول ان على السودانيين أن يجعلوا همهم الأول زرع الحبوب بحيث يكفى إنتاجها حاجة الأهلين . وقد أصبح من غير الجائز أن يستورد السودان مثلاً عشرين ألف طن من الدقيق كان ثمنها الذى يدفع إلى البلدان الأجنبية قبل الحرب يتراوح بين مئة وستين ومئة وثمانين ألف جنيه كل عام . وبعد ذلك ، أى بعد أن توفر أرض السودان لساكنيها قوتهم الضروى فلا يكونون تحت رحمة الغير للحصول عليه ، يستحسن أن يسعوا إلى استخراج حاجاتهم الأخرى ، فيجربوا زرع القصب ليصنعوا منه السكر الذى كانوا يستوردون منه قبل هذه الحرب حوالى خمسة وثلاثين ألف طن كان ثمنها ست مئة ألف جنيه . ولا أشك فى أن بالسودان أراضى تصلح لزرع القصب ، كما قد تصلح أيضاً لزرع القنب الذى يستعمل فى صنع الأكياس والزكايب ، ففى هذه الناحية مجال فسيح جداً لانتفاع البلاد ، إذ فضلاً عن ان السودان كان يشترى خيشاً من الخارج قبل الحرب بما قيمته مئة وعشرون ألف جنيه ، فإنه يجد فى مصر سوقاً عظيمة لكل مقدار يتسنى له تصديره من هذه العبوات .

اني قد لمست فى زيارتي هذه للسودان تحمساً كبيراً لتشييد صرح الصناعة فى هذا القطر . وقد نهض رجال من ذوى الحمية والاقدام لانشاء مصانع للزجاج وللغزل وما اليهما ، ولا يسعنى إلا الترحيب بهذه الروح الوثابة ، مع تحفظ أراه ضرورياً وحيطة لا بد منها حتى لا يكون حبوط بعض المشروعات — لا سمح الله — مثبطاً للعزائم .

فإذا كان السودان قطراً يقدر أن ينافس غيره من جهة رخص اليد العاملة ، فإن هذا الركن ليس الوحيد الذى يراعى فى الصناعات ، بل ان أهم أركانها المراس وتوفر

الخامات والآلات والمعدات والحماية لكل صناعة لا تزال فى المهد إلى أن تترعرع . لذلك كانت الطفرة محفوفة بأشد المخاطر ، وخصوصاً فى الظروف الراهنة . وفى رأيي أن يوجه التفكير إلى الصناعات الزراعيــة المتوافرة موادها فى البلاد مثل طحن الحبوب وحلج القطن وتجفيف الفاكهة وصنع الصلصات . والذى أرى إيثاره على سواه هو صنع الدمور الذى يكتسى به سواد الأمة . وكانت اليابان تبيع للسودان منه قبل الحرب ما تربى قيمته على نصف مليون من الجنيهات سنويًا ، وبعده الدبلان وكان المستورد منه قبل الحرب يساوى ربع مليون جنيــه . على أن قيمة جميع الأصناف التى أوردتها قد زادت الآن ثلاثة أضعاف على الأقل ، ناهيك بما يصادفه المرء من العناء للحصول عليها .

وفى موضوع الصناعة لى كلمة ختاميــة لابد من قولها ، وهى أن الدعاية من مستلزمات نجاحها ، كما أن الاستعانة بالاخصائيين الأجانب ضرورة لابد منها لتحقيق النجاح إلى أن يستطيع السودانيون أنفسهم التخصص فيه وإجادة العمل الفنى .

أما سؤالكم عن رأيي فى المستوى الثقافى العام فى السودان ، فإنكم هيأتم لى به فرصة لإبداء إعجابى العظيم بما شهدته من تقدم فى هذه الناحية المباركة بين عام ١٩٣٥ ، وهو الذى زرت فيه السودان للمرة الأولى ، وعامنا هذا . ولم يقل عن هذا اعجابي بما شهدته من تعطش أهل السودان لتعليم أولادهم . وأني أستبشر أجمل الاستبشار بما أراه من مناصرة حكومة السودان الرشيدة لهذه النهضة ، وبهذا المعهد الفخم الأنيق الذى تشيده الآن وزارة المعارف المصرية لتوسيع مدرســة (فاروق الأول) . ويسرني المصارحة بأن هذه المدرسة ، على حداثة سنها ، قد بلغت فى مدى عام واحد من النجاح ما جاوز فأل المتفائلين . ومتى تمت عمارتها فى وقت قريب ان شاء الله ، وتهيأت لها أسباب السير الطبيعى الى الكمال ، فإنها ستكون فى مقدمة مدارسنا المصرية الثانوية نظاماً وتعليماً وحسن انتاج .

وما من شك فى ان حضرة الأستاذ الكبير والإدارى والمربي الحازم محمد عبــد الهــادى (بك) ناظر مدرسة (فاروق الأول) بالخرطوم والمهيمن على شؤون التعليم المصرى بالسودان سيكون له أكبر فضــل لسرعة قيام هــذه المؤسسة

العظيمة ، وبلوغها الغاية المقصودة من توثق الروابط الثقافية بين مصر والسودان .

وختاماً ، لولا ضيق المقام فى مثل هذه الاجابة ، لكان لدى الكثير من القول فى الأسئلة التى أجبت عنها بنهاية الايجاز . ولكنى اجتزأت بالأقل والأدل ، راجيا لهذه البلاد العزيزة وأهلها الكرام كل تقدم ورفاهية وصلاح حال » .

هل تتعارض مصلحة مصر مع مصلحة السودان

ووجهت الى جريدة « النيل » أسئلة عن مصلحة مصر وهل تتعارض مع مصلحة السودان فأجبت عليها فى حديث نشرته الجريدة فى صدرها فى عدد يوم ٢١ يناير ١٩٤٥ وقدمت له بكلمة من عندها .

وفى ما يلى نص الحديث وديباجته نقلاً عنها :

« (صاحب العزة) يوسف (بك) نحاس من كبار الاقتصاديين المصريين الذين عرفوا بحسن الادراك وسعة الأفق ونضوج الرأي والخبرة الطويلة . وقد كان لهذه الصفات مجتمعة موضع ثقة الحكومات المتعاقبة والدوائر الاقتصادية المختلفة . فهو المستشار الذى يلجأ اليه عندما تشتبك الأمور وتعتور الصعاب ويُحتاج الى كلمة الفصل والرأى المستقيم .

ومن ذلك أنه كان المستشار الاقتصادى لوفد مصر عند عقد المعاهدة المصرية الانجليزية ، كما كان من أعضاء البعثة المصرية الاقتصادية التى زارت السودان عدة مرات ، وعضواً فى البعثة الاقتصادية التى زارت انجلترا .

ونحاس (بك) طويل القامة مهيب الطلعة رشيق العبارات يميل دائماً فى حديثه الى ضرب الأمثلة ، صريح فى آرائه جرىء فى ابدائها .

وقد اتصل (بعزته) مندوب « النيل » « بالجراند اوتيل » حيث ينزل ، وتقدم اليه بأسئلته فرحب بالاجابة مشكوراً وهى فى ما يلى :

س — هل ترون ان مصلحة السودان تتعارض مع مصلحة مصر الزراعية ؟

ج — إننى لا أدرى من أين يأتى هذا التعارض . فالسودان بلد مترامى الأطراف ، آخذ بأسباب النمو من ناحية عـدد السكان ومن ناحية حسن الإدارة ونشر التعليم الزراعى ، فضلاً عن الثقافة العـامة ، وان كان فى جل ذلك ما زال بادئاً وفى حاجة إلى المزيد . فإذا كثرت فيـه الأيدى العاملة التى تستطيع أن تحيي الأراضى الموات الصالحة للزراعة ، وتوافرت المعدات وأهمها الميـاه بحيث تخرج هـذه الأراضى مختلف المحصولات ، فلا يضير ذلك مصر أكثر ممـا يضيرها أن يتسع نطاق الزراعة فى أية بقعة من بقـاع الأرض . خذ القطن مثلا ، ويلوح لى أن منتجيه فى مصر هم الذين قد يخشون مزاحمة السودان لهم فى هذا الصنف ، فأقول وأنا مصرى منتج للقطن إننى لا أستطيع أن أفهم كيف أخشى هـذه المزاحمة ، وجميع أقطار العـالم على التقريب ساعية إلى استنبات القطن عندها . وهناك أيضاً الألياف الصناعية مثل الحرير الصناعى وما إليـه ، يتزايد إنتاجها يوماً بعـد يوم . على ان مصر تـكون فى مأمن من كل خطر يهددها من هذا الجانب إذا هى وسعت صناعة الغزل والنسج عندها . ففى اليوم الذى يوفقها الله فيه إلى غزل ونسج ما يكفى لـكساء سكانها والبلدان المجاورة لهـا ، لا أعتقد أنها تتعرض لبوار سلعتها بسبب جوار السودان أو مزاحمة غيره من البـلاد . وانى لأرجو أن يتاح للسودان إنشاء مصانع فيـه للغزل والنسج ليفيد الافادة الحقيقية من إنتاجه القطنى . أما سائر الأصناف الزراعية فلا إخال ما يفيض منها عن حاجة السودان التى تزداد بازدياد عـدد السكان ستؤثر أى تأثير ضار بمصلحة المنتج المصرى ، بل ان من محصولاته ما تحتاج مصر إليه ويفيدها جداً أن تستورده بكثرة .

س — يقال ان المياه المخصصة للسودان بموجب اتفاقية المياه كادت تستنفد جميعها ، وان الحـكومة السودانيـة سوف تسعى إلى تعـديل الاتفاقية بمـا يحقق للسودان قسطـاً أوفر من تلك المياه ، فهل ترون ان هذا التعديل يتعارض مع مصلحة مصر ؟

ج — لست متخصصاً فى مسألة مياه النيل التى لهـا علماؤها والخبراء بها ، ولـكننى وأنا أرى ما يضيع من تلك الميـاه سنوياً فى البحر الأبيض المتوسط ، أعتقد انه إذا تسنى لأولئك الخبراء أن يحتفظوا للقطرين بهذه الـكميات الطائلة المفقودة ، عدا ما يذهب

ضياعاً على طول الطريق من منابع النيل إلى مصبه ، ففى ذلك ما يسد أقصى حاجات القطرين . فالمسألة مسألة مال ينفق لضبط تلك المياه إنفاقاً علمياً حكيماً . ومهما يبلغ هذا الاتفاق من الجسامة ، فلن يكون فيه اسراف إلى جانب ما تدعو إليه الضرورة . وفى الابطاء تقصير لا يخفى الحيف الذى يتأتى منه للبلدين جميعاً . فأرجو أن تصح عزائم المسؤولين على تحقيق هذه الأمنية الجلى بأسرع ما يستطاع .

س — ما هى أحسن الوسائل لتنمية العلائق الاقتصادية بين القطرين ؟

ج — الوسيلة المثلى هى أن يكونا قطراً اقتصادياً واحداً يتبادل أهلوه المنافع والسلع والأرزاق من غير أن تقوم دون ذلك حواجز أو عوائق من أى نوع كان . وعندى انه عند ما يرسخ فى أذهان أهالى القطرين الشقيقين وأولياء الأمر فيهما نفع هذا الاتصال الاقتصادى الوثيق الذى هو أقوى رابطة تربط الشعوب وتؤلف القلوب ، عندئذ ستخلق الوسائل وتذلل الصعاب باجتماع المجهودات العامة والخاصة ، وتآزر الذرائع التى تتفتق عنها فطن كل ذى مصلحة فى تنمية العلائق الاقتصادية بين القطرين .

وإنى لأحمد الله ان السعى الأول الذى قامت به بعثتنا المصرية بايعاز المغفور له (الأمير) عمر طوسون ، وقد مضى عشرة أعوام على قيام تلك البعثة من مصر إلى السودان ، قد أتى ثمراته الطيبة . وإن هى إلا بواكير نأمل بعد زوال آفات الحرب أن تزداد ترعرعاً وازدهاراً . والله أسأل أن يكلأ هذا القطر العزيز ، وأهله الذين تملك حبهم قلبى ، برعايته » .

وأبرق مراسل « الأهرام » الخاص فى الخرطوم إلى جريدته بحديث نشرته فى عددها الصادر فى يوم ٦ فبراير ١٩٤٥ بعنوان « مصالح مصر والسودان » وهذا نصه :

«الخرطوم — لمراسل « الأهرام » الخاص — أفضى إلى الأستاذ يوسف نحاس (بك) بحديث خاص دحض فيه الرأى القائل بأن هناك تعارضاً بين مصلحة السودان ومصلحة مصر الزراعية .

ومما قاله : إذا كثرت فى السودان الأيدي العاملة ، وتوافرت المعدّات ومياه

الريّ ، فازداد الإنتاج الزراعى ، فإن ذلك لا يضير مصر أكثر مما يضيرها اتّساع نطاق الزراعة فى أية بقعة أخرى من بقاع العالم .

وبعد أن أشار إلى أن مصر ستأمن خطر المنافسة بتوسّعها فى صناعة النسج ، قال عن تعديل الاتفاق الخاص بالمياه إن مقادير هائلة تضيع من ماء النيل فى البحر الأبيض المتوسط ، فإذا اتفق على ضبط المياه فلن يكون هناك إسرافٌ أو تجاوز لما تدعو إليه الضرورة .

ثم ذكر ان خير الوسائل لتنمية العلاقات الاقتصادية بين البلدين هو أن يقيما وحدةً اقتصادية ، وأن يتبادل سكانهما المنافع دون إقامة عوائق أو حواجز » .

خواطر سودانية

ونشرت لى جريدة « السودان » فى عددها الصادر فى يوم ١٦ مارس ١٩٤٥ خواطر سودانية قدّمت لها بكلمة من عندها ، وفى ما يلى الخواطر وعبارة التمهيد :

« الدكتور يوسف (بك) نحاس من رجال الاقتصاد المصرى عملاً وفناً ، ومن روّاد النقابة الزراعية الذين أبلوا فى جهاد مصر الاقتصادى بلاءً حسناً فى صمت وهدوء . والعمل الصامت دائمــًا كالعملة الجيدة ، لا يتداولها الناس إلاّ إذا بحثوا عنها . وقد بحثنا عن الدكتور فوجدناه ، فضلاً عن أنه عضو أول بعثة اقتصادية مصرية للسودان ، عضواً فى لجنة السودان الدائمة ، وزائراً دائمــًا للسودان . وها هى الحرارة التى اكتسبها من جوّ السودان عقب زيارته الأخيرة الحافلة منذ أسابيع لا تزال تشعّ فى محدثيه الدفء . وها هى خواطر نسوقها عنه ، فاجتهد أن تفهم من خلال سطورها كما تفهم من سطورها ، وهكذا فلاسفة الاقتصاد يعالجون المسائل معالجة فيها كثيرٌ من الاقتصاد .

نهضة اقتصادية : إن العمل الأولى والأساسى للسودان ، إذا أراد أن ينهض اقتصادياً ، هو الزراعة . فدنياها هناك ليس لها أخرى . فما هى إلاّ عزمات صادقات ،

وحدب وتوجيهات ، حتى تغدو هـذه السباسب المترامية دباجةً خضراء ونضاراً وهّاجًا وسندسًا وإستبرق !

أو ليس هـذا العملاق الذى لا يغفو هو النيل ! وهـذا الرذاذ الذى لا ينضب هو الأمطار ؟ وهذه البقاع التى لا تنتهى هى التربة ! ؟

أين مصر ؟ ! : إن مساهمة مصر فى هذا الجهاد الذي يُحيي السودان لا مندوحة عنها ولا غنى فى الحصول عليها .

ها قد عدلت رأيي : وإني وإن كتبت عام ١٩٣٦ رأيًا لا يحبّذ هـذه المساهمة تحت ضغط الظروف فى ذلك الزمن ، الاّ أني اليوم أعدل عن ذاك ، وأهيب ببنى وطنى أن يولّوا وجوههم شطر السودان . ففى أرضه العذراء قوة تحيل الترب تبراً !

شركة زراعية جديدة : وها هو مشروع شركة يسير فى ضمير الغيب ليؤدى رسالة زراعية فى السودان . ويا حبذا لو تمت المعجزة وخرجت « الشركة المصرية السودانية الزراعية » تؤاخى أختها التجارية .

الصناعة أيضا : تلمست أثناء زيارتي للسودان تحمسًا كبيراً لتشييد صرح الصناعة . فمصانع الغزل والزجاج والعطور والدباغة باكورة طيبة لمستقبل وارف الظلال . وهناك موادّ أولية كثيرة مختلفة ، أهمها الصناعات الزراعيـة والمصنوعات القطنيـة والجلدية وغيرها من الصناعات الخفيفة . غير أن الصناعات الثقيـلة لا أظنّها تنهض سريعًا ، وليس معنى هـذا خلوّ السودان من المعادن ، ففى جوف السودان الكثير منها الذى يحتاج للتعدين والتنقيب . أما الفحم ، فهناك الفحم الأبيض الذى ينتج من سرعة جريان الأنهار القصيرة فى الجنوب .

نهمٌ ثقافى : فى السودان نهمٌ ثقافى . فما أظنّ أن شعبًا من شعوب العالم ، وقد زرت أكثرها ، ينطلق خلف قافلة العلم انطلاق السودانيين ! ففى السنوات العشر الأخيرة بين سنتى ١٩٣٥ و ١٩٤٥ لحظت تغييراً وتطوراً وتقدمًا باديًا للعيان !

الـكلمة الطيّبة : ان الكلمة الطيبة تؤثر فى نفس السوداني بمـا لا يؤثر الذهب ان كانت ترغيباً ، ولا يؤثر الرصاص ان كانت ارهاباً !

خليل مطران : لقد استقبل السودانيون مطران استقبالاً رائعاً جعله يقولـ :

لقد عدت إلى شبابى . وهل أروع من أن يعود الشيخ إلى شبابه ؟ !

مشروع الجزيرة : هو للسودانيين لا نزاع ولا ريب . أما الرأى الفنى فيـه ، فلا يـكون إلاّ بعـد الدرس والاستيعاب . ولعل ظروفى تمـكننى ، إذا وصلتنى المعلومات التى أطلبها ، أن أقوم ببحثٍ فنّى هو دينٌ فى عنق لنهضة السودان الاقتصادية .

بنك السودان : لا أرى أن الوقت قد حان لإنشاء هـذا البنك ، وربمـا يؤون بعد ازدهار الصناعة ونمو التجارة .

التموين هناك : أشهد بأن إدارة التموين فى السودان منتظمة تمام الانتظام ، وأن نظمها تدق دقات جرينتش لا تأخير ولا تقديم ، يستوى فى هـذا الحاكم العام مع رجل الشارع . ولقد شاهدت بنفسى من الحوادث ما يثبت قولى .

تقرير : إننى أعدّ تقريراً عن رحلتى سأتوجه به للجهات المختصة .

السياسة : لعنها الله ، ولـكن لتطمئن مجلة « السودان » !

مقال ورد

ولم تسلم زيارتنا للسودان من سوء تأويل وخطأ تعليل .

ففى الثامن والعشرين من شهر ديسمبر ١٩٣٥ ، طلعت علينا جريدة « الأمة » بمقال عنوانه « الاحتيال السياسى والأميّة السياسيـة » ، أساءت فيـه تفسير مغزى رحلتنا على الرغم من أننا لم نخف من أمرها شيئاً .

وعلى إثر نشر هذا المقال فى جريدة « الأمة » بعث الأستاذ بيومى على الأبيض إلى الجريدة وإلى جريدة « الرأى العام » بردّ استنكر فيه فحوى هـذا المقال المستهجن واستشهد بأحاديثي فى الصحف وفيها قلت إن مصلحة مصر لا تتعارض مع مصلحة السودان، بل ان القطرين متكاملان يحتاج كل منهما الى الآخر .

وختم الاستاذ الأبيض ردّه بقوله :

« أليس هـذا إذن أمراً غريباً وادّعاءً عجيباً ؟ أى احتيال سياسى يقصده الأخ الفاضل محرر جريدة « الامة » ؟ لم يوجد بعد مصرى يبغى استغلال السودان وأهل السودان . ولن يوجد الشخص أبداً . إننا إخوة قد وحّدت بيننا المصالح المشتركة ، ووحّد بيننا الألم والأمل ، ووحّدت بيننا المصالح الدنيوية والأخروية . إن مصر التى تهبّ لمساعدة أىّ أمة مسلمة ألمّ بها خطر أو ضرر ، لا تفكر أبداً فى استعمار السودان أو استغلاله كما تدعون .

ترى أيكون هذا احتيالا سياسياً منكم ، بالنسبة لأنه يعارض دعوتكم الانفصالية؟ أم ماذا يكون ؟ إننى حائر والله فى أمرى . فلا زلت أنظر إليكم كوطنيين يخدمون بلادهم بما يرونه الصالح . فهل من صالح الوطن أن تشوّه الحقائق ؟ وإنى أسوق إليكم قول الله تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا ، إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

ولن أقول إنها مغالطة ، كلا وكلا ، إنما التمس لكم عذراً ، فربما عند الاطلاع التبس عليكم شيء . وما زلت عند حسن ظنى بكم أيها الاخوة ، وفقنا الله جميعاً لما فيه خير البلاد والمواطنين الأعزاء » .

اقتراح انشاء شركة سودانية مصرية

تستغل الأراضي في الجنوب

وقد أتيح لى فى مستهل عام ١٩٤٦ أن أزور السودان مرة أخرى ، وأن أتصل بأهله وأبنائه ممن أستطيب صحبتهم وعشرتهم ويأنسون لصحبتى ، فعاد رجال الصحافة يسألوننى فى أمور السودان الاقتصادية ، فلم أدّخر وسعاً فى إجابتهم إلى ما يطلبون .

وقد زارنى الأستاذ يحيى عبد القادر محرر جريدة « النيل » وتحدث معى طويلاً ، ثم كتب فى جريدته بتاريخ ١٧ يناير ١٩٤٦ يقول :

« يزور السودان الآن الاقتصادى المصرى الكبير الدكتور يوسف (بك) نحاس والسيدة الفاضلة قرينته كعادتهما فى كل شتاء . ونحاس (بك) رغم بلوغه السبعين ماضى الذهن ... كثير النشاط ... كثير التنقل ، لا ينقطع عن الدراسة والبحث والعمل فى الميدان الاقتصادى .

وقد زرت (عزته) صباح أمس حيث ينزل فى « الجراند أوتيل » ومضى بنا الحديث إلى التقرير الذى كان قد وضعه فى العام الماضى عن شؤون السودان للبعثة المصرية عقب عودته من الخرطوم .

فقال (عزته) إن البعثة اهتمت به ، وأعارت الاقتراحات التى تضمنها كثيراً من عنايتها ، مما دعاها إلى تقرير طبعه وتقديمه إلى جهات الاختصاص . ثم شرعت بعد ذلك فى تكوين لجنة لدراسة مشروع إنشاء شركة زراعية فى السودان برأس مال يشترك فيه المصريون والسودانيون على السواء .

وتهدف هذه الشركة إلى العمل على ترقية أساليب الزراعة والصناعات الزراعية فى السودان بغية توطيد الناحية الاقتصادية بين القطرين الشقيقين .

ثم وكلت اللجنة بعد المباحثات الأولية إلى رئيسها (سعادة) فؤاد أباظه (باشا) الاتصال بحكومة السودان فى هذا الشأن . ولا تزال المكاتبات دائرة .

وإن لنا لوطيد الأمل فى أن تمهد الحكومة السودانية السبيل وتذلل العقبات حتى تستطيع هذه الشركة أن تؤدى رسالتها على أحسن ما يكون الاداء . وقد بدا من إخوانكم المصريين تحمس مشكور لهذا المشروع ، مما دفع الحاضرين ، وعددهم لا يزيد على العشرة، لابداء الرغبة فى أن يكتتبوا هم أنفسهم بجميع رأس المال الأولى للشركة ، وقد اقترح أن يكون مقداره خمسين ألف جنيه .

ومن ضمن الاقتراحات التى عرضت على لجنة التأسيس أن تحصل الشركة على احد مشروعات حكومة السودان فى الجنوب لتتولى هى القيام به ، أو تسمح لها بإنشاء مشروع مماثل هناك . وخصت الشركة الجنوب بالذات نظراً لجودة التربة ووفرة الأيدي العاملة مما يساعدها على نجاح عملها بسرعة ، فضلاً عما تستفيده تلك المناطق من تدريب أهلها على أساليب الزراعة والصناعة الزراعية الحديثة .

واستطرد (عزته) بعد أن نوه بأهمية النهضة الزراعية للسودان فى طوره الحالى فقال : وكان (سعادة) صديقى فؤاد أباظه (باشا) يعتزم المجىء معى فى هذه الأيام ، ولكن حالت ظروف خاصة دون تحقيق بغيته اضطرته إلى تأجيل حضوره . ولعله يستطيع موافاتى هنا قبل مبارحتى الخرطوم إلى مصر .

وأرجو ، إذا تيسر له الحضور ، أن يستطيع بمحادثاته الشخصية مع الجهات المختصة الوصول إلى نتيجة أسرع مما يمكن الوصول إليه عن طريق المكاتبات .

وبعد أن شكرته على تلطفه باطلاعى على هذه المعلومات والشؤون الهامة ، رجوته أن يحدثنا عن وجهة نظره فى بعض الاقتصاديات السودانية ، فاعتذر فى الوقت الحاضر ، وربما يوافينا برأيه عنها فى وقت آخر » .

فى جريدة « الأهرام »

وتلقت جريدة « الأهرام » من مراسلها فى الخرطوم رسالة نشرتها بعدد ١٨ يناير ١٩٤٦ بعنوان « المصريون والمشروعات الاقتصادية فى السودان » نصها :

« الخرطوم فى ١٧ — لمراسل الأهرام — أفضى الدكتور يوسف نحاس (بك) على إثر وصوله إلى العاصمة السودانية بحديث إلى جريدة « النيل » قال فيه ان البعثة المصرية الاقتصادية فى السودان رغبت فى إنشاء شركة رأس مالها الأوّلى ٥٠ ألف جنيه يشترك فيها المصريون والسودانيون لإنشاء مشروع زراعى فى السودان . وقد اقترحت البعثة على حكومة السودان منحها امتياز أحد مشروعاتها فى الجنوب حيث تجود التربة وتتوافر الأيدى العاملة . وقد يصل قريباً إلى الخرطوم فؤاد أباظه (باشا) الذى يعدّه السودانيون صديقهم لمحادثة الجهات المختصة فى هذا الشأن ، إذ كانت لجنة الشركة قد عهدت إليه فى الاتصال بهذه الجهات المختصة » .

تعليق جريدة « النيل »

وكتب الأستاذ يحيى عبد القادر محرر جريدة « النيل » تعليقاً على هذا الحديث نشره بعدد يوم ٢٠ ابريل ١٩٤٦ بعنوان « آراء طليقة : الاستغلال الزراعى المصرى فى السودان » قال فيه ما نصّه :

نشرت هذه الجريدة فى عددها يوم الخميس الماضى ، حديثاً قيماً للدكتور يوسف (بك) نحاس أشار فيه إلى الجهد المشكور الذى تبذله اللجنة التى كونتها البعثة الاقتصادية المصرية بغية انشاء مشروع زراعى فى الجنوب ، يبلغ رأس ماله الابتدائى ٥٠٠٠٠ جنيه .

وقد أثار هذا المسعى الكثير من الاهتمام ، لما له من دلالة على اتجاه مصرى عملى جديد سوف يكون له، لو نجح واستمر ، فوائد واسعة المدى .

وقد كنا دائماً من مناصرى أمثال هذه الخطوات الاقتصادية من مصر . ذلك

ان أغلب الأراضى السودانية الصالحة للزراعة والاستصلاح فى الشمال والجنوب لم تزل عذراء ، وتحتاج الى من يمد لها يده ليستخرج خيراتها ... وليس السودان من الوفرة والثراء بحيث يستطيع أن يفعل ذلك بنفسه ... فهو بالضرورة يرفع عينه الى الأموال الخارجية والجهود الخارجية . وهل أقرب من مصر الجارة الطيبة والشقيقة الغنية ، رحماً ، وأدنى صلة ... وأجدر بأن تؤدى واجبها فى هذا المجال ؟

وما ندرى لم يقدم المصريون رجلا ، ويؤخرون أخرى ، عندما يهمون ببذل أموالهم فى السودان ... والميدان الاقتصادى هو أكثر الميادين إحكاماً للروابط بين الشعبين ، وأبعدها فى حياتهما أثراً ، وأدومها نفعاً ؟

أضف إلى ذلك ان هذه الأموال سوف لا تتبدد ، بل ستبقى وتعود على أصحابها بأرباح غير هينة . وللدكتور يوسف (بك) نحاس فى تقريره الأخير إيضاحات فى هذا الشأن يصح الرجوع إليها .

فالأراضى السودانية زهيدة فى أجورها . وإذا كانت ثمة صعوبات فى وسائل النقل ، فمن السهل تذليلها .

وان آذاننا لم تنفك تردد صدى كلمات السر ستيوارت سايمز حاكم عام السودان السابق التى رحب فيها بالاقتصاديين المصريين والأموال المصرية . وكان من جراء دعوته قدوم البعثة المصرية الاقتصادية عدة مرات .

ولم يحل بينها وبين استغلال الأراضى غير إحجامها وإحجامها فحسب .

***

لقد سمعنا كثيراً من الأقاويل عن البواعث التى حدت بالمصريين لكى يكفوا أيديهم عن بذل جهودهم الاقتصادية الجدية فى هذه البلاد ، وكان بودنا أن نعثر على ما يدعم هذا الذى يقال ، ولكنا مع الأسف نجد أنفسنا عاجزين .

فالباب مفتوح فى هذا الميدان أمام الجميع . وأخشى أن يكون معظم الأقاويل أو كلها لا يتعدى دائرة الخيال والوهم .

***

وللاستغلال الزراعى فى السودان ، لوشاءه المصريون ، وجوه عدة . فهناك غير إنتاج المحصولات ، إنشاء حدائق الفاكهة ، واستنبات الغابات للانتفاع بأخشابها ، وإقامة الصناعات الزراعية كمطاحن الحبوب ومعامل تجفيف الفاكهة وصنع الصلصات ، وتعبئة الأطعمة وغــير ذلك مما هو جديد مبتكر يدر الرزق الواسع ويفتح أبوباً جديدة أمام السودانيين والمصريين على السواء .

فهل أقدموا وعملوا وعاونوا ؟ لقد كنا نود أن يفعلوا مع التضحية ، فكيف وهناك الكسب الحلال ؟ » .

حديث فى مجلة « كردفان »

ونشرت مجلة « كردفان » فى عددها الصادر فى أول فبراير ١٩٤٦ حديثاً بعنوان « س و ج مع (صاحب العزة) الدكتور يوسف نحاس (بك) » هذا نصّه نقلاً عنها :

« الدكتور يوسف (بك) شخصية اقتصادية مرموقة فى الدوائر التجارية بمصر، وقد زار السودان مرات عديدة أولها زيارته مع البعثة المصرية عام ١٩٣٥ . وفى العام الماضى زار السودان ونشر تقريراً عن حالة السودان الاقتصادية والاجتماعية سنلخصه فى عدد مقبل لطرافته وفائدته . وقد زرته فى نزله « بالجراند أوتيل » وعلمت منه انه حضر الى السودان طلباً للراحة والدفء . وقد وجهت له بعض الأسئلة المتصلة باختصاصه ، ولها صلات اقتصادية بكردفان، فتفضل مشكوراً بالإجابة عنها. وإذ نبادر بنشر آرائه القيمة لا يفوتنا الا ان نزجى له الشكر، داعين له بالصحة وطول العمر .

س — صدر الى مصر كميات لا بأس بها من الصمغ العربى ، ففى أى عمل يستعمل ؟

ج — الصمغ من نوعى الهشاب والطلح المستوردين من السودان يستعملان فى

مصر لصنع الحلوى والورق المقوى (الكرتون) والورق . وتستخدم مقادير قليلة منه فى صناعة الاقمشة اليدوية المحلية . على أن الكميات التى يصدرها السودان الى مصر من الصمغ بنوعيه محدودة .

س — صدرت كردفان الى القطر المصرى عام ١٩٤٥ حوالى ١٦٠٠٠ طن من حب البطيخ ، فهل كل هذه الكمية تستعمل (للتسالى) أو يستخرج منها منتوج آخر ؟

ج — الذى أعلمه ان جميع ما يرسله السودان الى مصر من حب البطيخ يستهلك فى المحامص ويباع للجمهور للتسالى . إلا أنه حصل فى العام الماضى أن استعملت مصر حب البطيخ نمرة ٢ الأحمر غذاء للطيور بالنظر الى رخص أسعاره . ولا أعلم ان مصر أهتمت الى الآن باستخراج مادة زيتية من حب البطيخ .

س — ما الذى أعجبك فى النهضة السودانية ؟

ج — الذى أعجبنى فى النهضة السودانيـة وأشدت به فى أحاديثى الصحفية عام أول ، هو تعطش أهل هذه البلاد المحبوبة للعلم ، وما بلغته فى فترة قصيرة من التقدم الملموس فى هذه الناحية مما يبشر بكل خير . وان المجهودات المبذولة ، سواء من حكومة السودان ، أو من حكومة مصر ، أو من الهيئات والأفراد لنشر نور العلم والعرفان ، لخليقة بالتقدير . وإنى ألحظ فى الناحية الاقتصادية نهضة فكرية متحمسة قد صاحبتها عزيمة على المضى قدما فى مضمار العمل المثمر . فإذا والى ابناء السودان سيرهم فى هذا السبيل بإقدام مقرون بالحذر ، فلا يمضى زمن طويل حتى نرى مختلف الصناعات التى تتوافر لها فى البلاد أسباب النجاح قد نمت وترعرعت ، خصوصاً إذا اولتها الحكومة المحلية رعاية وتشجيعاً . وفى مجال الصناعة متسع لجميع الجهود . وفق الله اخوانى السودانيين ، وهيأ لهم من أمرهم رشدا .

وإن أمنيتى القصوى هى ان يتضافر القطران الشقيقان لاستثمار خيرات السودان الطبيعية الوفيرة ، فيمضيان بهمة وأخلاص فى مجال الصناعة والزراعة والصناعات الزراعية مكملا كل منهما ما ينقص الآخر ، وبذلك تتحقق النهضة الاقتصادية المباركة . وهـذا

الرباط اذا أحكم بينهما ، كان أقوى ما تقوى به وشائج المحبة والاخاء .

س — ألا ترى ان السودان فى وقته الحاضر فى حاجة الى بنك سودانى ؟ وكم تقدر رصيداً لنجاحه ؟

ج — قد يكون التريث زمناً قليلا خير ما أنصح به ، لأن انشاء بنك اهلى سودانى يجب ان يرتكز على نهضة اقتصادية أوسع نطاقاً وأكثر قوة . وأرى من التسرع خطر الاخفاق. فإذا أخفق مشروع كهذا ، لا قدر الله ، كان أثره عميقاً فلا يتسنى العودة اليه قبل أنقضاء وقت طويل . اذ ان البنك المنشود هو بنك أهلى ، أى بنك يكون رأسماله جميعه أهلياً. ويبدو لى أنه يتعذر تحقيق هذه الأمنية السامية فى الظروف الحالية ، والشئون المالية العالمية على ما هو مشاهد من التقلقل والاضطراب !

س — لماذا لا تتأثر السوق التجارية فى السودان من التضخم المالى فى مصر ؟

ج — إن السوق السودانية بقيت الى الآن غير متأثرة بالتضخم المالى الذى منيت به مصر بفضل ما حرصت عليه حكومة السودان منذ نشوب الحرب من ضبط الأسعار ومنعها من التهور وكبح جماح المضاربات . وقد صادفت هذه التدابير الحكيمة قبولا حسناً من أهالى البلاد ، وأمتثالا للقوانين والانظمة الموضوعة قد لا يحاولون خرقها . لذلك لم ترج عندهم السوق السوداء كما راجت عند سواهم. هذا الى ما جمّل الله به الشعب من فضيلة القناعة والرضى بما قسم الله سبحانه وتعالى لكل واحد من عباده ! »

هل يستطاع انشاء بنك أهلى فى السودان ومتى

وزارنى الاستاذ يحيى عبد القادر محرر جريدة « النيل » مرة أخرى ليسألنى عن امكانيات إنشاء بنك أهلى فى السودان ، فأفضيت إليه بحديث نشره فى صدر جريدته بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٤٦ ، وهذا نصه نقلا عنها :

« ثار لغط كثير فى العام الماضى حول امكان انشاء بنك أهلى فى السودان فى هذه الآونة .

وقد انتهزنا فرصة وجود الاقتصادى المصرى الكبير الدكتور يوسف (بك) نحاس فى الخرطوم وسألناه رأيه فى هذا الموضوع الهام فقال :

اذا كان هذا البنك الذي يراد انشاؤه على غرار البنوك المالية التى عرفتموها كبنك الباركليز والاهلى ، فاسمحوا لى ان أقول ان البلاد غير مستعدة له الآن استعداداً يكفل له النجاح ويجعله فى مأمن من العثرات .

ويرجع عدم الاستعداد الى عوامل عدة ، منها ان السودان فقير وليس به رؤوس الاموال الكافية لتشييده ولادارة دولاب أعماله بحيث يصمد أمام المنافسة الاجنبية .

ويجب ان يلاحظ ان مجال العمل للبنوك فى السودان لا يزال ضيقاً . وحسبك ان تعلم ان أهم أعمال البنوك العادية التى تجلب لها الربح هى عمليات التسليف على السلع وخصم الكمبيالات والقطع التى يعبرون عنها بكلمة الكامبيو ... كما تعتمد على الودائع المالية التى يضعها الجمهور اذا نالت ثقته ، ولذلك كانت أهم شرط لنجاح البنوك .

ومن الاسراف فى التفاؤل ان يقال ان ذلك كله سيتوفر للبنك السودانى حالياً . ولعل نظرة الى ما حاق ببنك مصر منذ عهد قريب ، مما اقتضى تدخل الحكومة لحمايته رغم اتساع المجال هناك ، يوضح ما قصدت اليه .

أما ان كان هذا البنك المقصود انشاؤه زراعياً على غرار بنك التسليف الزراعى المصرى ، فإنى أرى تحقيقه أيسر حين تتهيأ له الظروف الملائمة . وأهمها بالبداهة اطلاق حرية التصرف فى المحصولات ، وأن توجد وتتركز المشروعات الزراعية الكبيرة ، وأن تظفر هذه البلاد باستقرار اقتصادى معقول بعد هذه الحرب .

على انه مما لا مندوحة عنه أن توجد قبل هذا وذاك النواة الاهلية العاملة فى

هذه البنوك ، أى أن يعد نفر من السودانيين الذين يحذقون أعمال البنوك وادارتها ويلمون الماماً دقيقاً بشؤونها فى الداخل والخارج على السواء .

وانى ، دون ريب ، لست أقصد بما أقول التثبيط بل التبصير والتحذير . فالاعمال المالية تقتضى التؤدة وإعمال الرويّة ومواجهة الحقائق مجردة عن العواطف والوثبات الوطنية الحماسية الجامحة .

وانى لقوى الايمان بأن السودان مقدم على مستقبل اقتصادى زاهر بهمة أبنائه الميامين وبمعاضدة اصدقائه واخوته والعاطفين عليه ، وخاصة المصريين .

ولعلى اضغط على كلمة معاضدة المصريين ضغطاً شديداً ، لانها لو تحققت بصورة جدية لاحدثت أحسن النتائج » .

الفصل الثالث

بين إخوة كرماء

أبى السودانيون الاشقاء إلاّ أن يجعلوا من زيارتى مع صديقى الأستاذ خليل مطران للسودان مناسبةً للحفاوة والتكريم . ولم تفلح اعتذاراتنا المتكررة أمام ما طبع عليه أهل السودان من كرمٍ أصيل ونبل عريق وعرفان بالجميل غير محدود . فألفينا أنفسنا مطوقين بأطواقٍ من المنن أينما حللنا وحيثما توجهنا . ولا تفتأ الأندية والجمعيات تقيم لنا حفلات التكريم فيتبارى فيها الشعراء والخطباء مظهرين مشاعرهم الطيّبة تجاه مصر ، معربين عن ترحيبهم بكل ما من شأنه أن يعزز علاقات شقى الوادى ويحقق مصالحهما المشتركة وأمانيهما الواحدة .

وقد رأيت أن أثبت هنا بعض ما روته الصحف السودانية عن هذه الحفلات ، وما أُلقى فيها من خطب وما أنشد من قصائد ، منتهزاً هذه الفرصة لأجدد لأهل السودان الأعزاء آيات التقدير والشكران ، مؤكداً لهم أن ما غالوا فى إبدائه من تكريمٍ لشخصى الضعيف إن هو إلاّ فيضٌ من عاطفتهم الجياشة نحو مصر وشعب مصر ، وما غرضى من اثبات هذه الخطب والقصائد التفاخر والزهو ، وإنما أردت أن أسجل ما بلغه اخواننا السودانيون فى ذلك الوقت من الرقى الفكرى فى شتى المناحى ، مما يؤهلهم لبلوغ كل ما ينشدونه من مجد وعزة .

حفلة النادى المصرى

وصفت جريدة «النيل» فى عددها الصادر فى يوم ١٦ يناير ١٩٤٥ الحفلة التى أقامها « النادى المصرى » فى اليوم السابق فقالت :

« أقام النادى المصري فى أصيل الأمس حفلة شاى فاخرة تكريماً واستقبالاً (لحضرة صاحب العزة) خليل (بك) مطران ويوسف (بك) نحاس بمناسبة زيارتهما للسودان، وقد دعى إليها الكبراء والأعيان وممثلو الهيئات والجاليات الأجنبية.

وبعد أن مكث المدعوون فى الحديقة يتبادلون شتى الاحاديث، انتقلوا إلى قاعة النادى الكبرى حيث مدّت الموائد.

وقد خطب (حضرة صاحب العزة) محمد صبرى الكردى رئيس النادي فأشار إلى الأستاذ خليل (بك) مطران وقال إنه من أعلام رجال الصحافة القدماء وأفذاذ الأدباء والشعراء لا فى مصر بل فى الشرق العربى جميعه.

ثم تحدث عن يوسف (بك) نحاس فقال إنه من كبار رجال الاقتصاد الذين أدوا للحكومة المصرية خدمات جليلة. فقد مثلها فى كثيرٍ من المؤتمرات الاقتصادية، كما أخذ رأيه فى النواحى الاقتصادية للمعاهدة المصرية الانجليزية.

وقد القى الاستاذ عبد الحميد زيدان قصيدة عصماء حيّا بها شاعر القطرين كان لها أجمل وقع.

ثم نهض خليل (بك) مطران فاعتذر بضعف صوته عن إيفاء المقام حقه وقال إنه لم يكن يعتزم الكلام وانه الآن يرتجل رغم كراهته للارتجال الذى يجعل المرء يقول كل ما يجول بنفسه مدفوعاً بكلمات الخطيبين.

وانتهى من ذلك إلى الثناء على يوسف (بك) نحاس، وعدّد خدماته للأمة المصرية، وأشار إلى أنه هو الذى شجعه على زيارة السودان.

وقد تحدّث عن نفسه فقال ان شهرته قامت على أنه كان ظلاً لكبار الشعراء والكتّاب الذين أسسوا النهضة الشعرية والأدبيّة فى الشرق العربى.

ثم شكر المحتفلين به وأثنى بصفةٍ خاصة على (حضرة صاحب العزة) رئيس النادى، ووصفه بأنه ترك ما كان يتمتع به فى مصر من نعيم وجاء الى السودان طائعاً مختاراً ليساهم فى خدمة البلدين.

وتمنى تحقيق الآمال فى الاتحاد العربى وأن يكون للسودان مكان لائق به » .

حفلة الجالية السورية

وأقامت الجالية السورية حفلة شاى فى محل « انطونيادس » برياسة الأب نعمة الله حداد ، شهدها ١٣٠ مدعواً بينهم كبار المصريين فى السودان .

وقد ألقى الأب نعمة الله حداد كلمةً نشرتها جريدة « النيل » فى عددها الصادر فى ١٦ يناير ١٩٤٥ وهي :

« وقفت بهذا المجتمع الحافل بعلية القوم لكى أعبّر عن عواطفى وما يخالجنى من الفرح والسرور . وأرانى أيضاً أعبّر عما يخامر قلوبكم من غبطةٍ وحبور تنطق بهما وجوه الجميع .

وقفت بالإصالة عن نفسى وبالنيابة عن جمهوركم الكريم لكى نرحّب (بصاحبى العزة) الدكتور يوسف (بك) نحاس وعقيلته وخليل (بك) مطران المواطنين الكرام الذين تجشّموا مشقّة الطريق لكى يستظلّوا بسماء السودان فى فصل الشتاء اللطيف .

وأكثركم كان يسمع بهذين الاسمين الكريمين من أمواج الأثير أو من أفواه علية القوم كبيرهم وصغيرهم . وأما الآن فتكتحل عيونكم برؤيتهما التى تشرح الصدور .

لو أردت أن أطرى صفاتهما الحميدة وأن أشرح ما لهما من المكانة العالية فى ميدان المجتمع البشري لقصّرت عن إيفائهما حقهما من المديح والتكريم . وإنما أرجع إلى قول من قال « خير الكلام ما قلّ ودلّ » .

إن (صاحب العزة) يوسف (بك) نحاس رجل العلم والعمل والجدّ والاجتهاد. أجل ، هو الرجل الفذّ فى عالم الاقتصاد والزراعة ، ومقالاته التى كان يدبّجها تشهد له . وهو عضو فى المجلس الاقتصادى الكبير والمجلس الاستشارى الزراعى ، وسكرتير

عام للنقابة الزراعية المصرية العامة وعضو لجنة القطن الدولية ولجنة مصر والسودان . وما من لجنة ذات أهمية من اقتصادية أو زراعية إلاّ انتخب عضواً بها منذ ثلاثين عاماً . وسيماؤه تدل على محتدٍ كريم ونبـل عريق ولطف ساحر . وهو شمس ساطعة فى سماء الهيئة الاجتماعية تقترن بفخر النبل والشرف والذوق السليم ، أعنى السيدة المصونة الفاضلة عقيلته وشريكة حياته سليلة المجد الأثيل وكريمة المثلّث الرحمات يوسف سابا (باشا) الذى شغل مركزاً كبيراً فى وادي النيل يوم كان مـديراً للبريد المصرى ثم وزيراً للمـالية ، فبلغ بمنصبه أعلى مقام .

أما (صاحب العزة) خليل (بك) مطران شاعر القطرين الذى نبت فى دوحة المجد والشرف والمكانة العالية ، وأفراد عائلته أشهر من نار على علم فى مدينة بعلبك العظيمة ، فقد اقترن بعروسته ألا وهى العبقرية الأدبيّة شعراً ونثراً ، وكرّس لهـا حياته بأجمعها ، فأصبحت له الزوجة والولد . والمحافل الثقافيـة والعلمية والاجتماعية تشهد له وتعترف بصدق وطنيّته وإخلاصه للعلم والعمل .

والآن أرجو من المحتفى بهم أن يسدلوا سـتر العفو عن تقصيرى فى مديحهم وإطرائهم . وأقول لهم : أهلاً وسهلاً ومرحبًا بقدومكم الميمون بتشريفـكم ربوعنا .

وأما أنتم أيهـا المدعوون لإحياء هـذه الحفلة والداعون إلى إقامتها ، فأشكركم بالإصالة عن نفسى وبالنيابة عن المشاركين بهـا ، إذ لبّيتم الدعوة لأجل التعبير عمـا يخالج قلوبنا نحو المحتفى بهم . لا زلتم جميعاً فى هناء وسعادةٍ وغبطةٍ وحبور لسنين عديدة . والسلام عليـكم » .

حفلة النادى السورى

وأقام « النادى السورى » حفلة شاى فى يوم ٢٦ يناير ١٩٤٥ شهدها عددٌ كبير من المدعوين ، وألقى فيها الدكتور معلوف خطبة رائعة وأنشدت فيها قصائد أورد فى ما يلى اثنتين منها :

وأولى القصيدتين للأستاذ اسكندر فوّاز وهى :

ترسّمتما الركبَ المغذّ وقلتما لنا مثلكم فى واحة المجد مأربُ
فقالوا رويداً ما تزوّدتما لها وأين المذاكى والسلاح المذرب ؟
ألم تعلما أن الطريق مخوفة ومن دونها قفرٌ يباب سبسب ؟
فلن تريا إلاّ الرذايا طلائحاً على جانبيها والقنا يتسرّب
فلا تُخدعا فالماء فى فجواتها سرابٌ كذاك البرق فى النيق خُلّب
ففى الجيل قد يأتى المحجة واحد أو اثنان والباقون خابوا وخيبوا

***

فقالا مطايانا المحبة والنهى وأسيافنا العزم الذى ليس يُغلب
سنسعى ، فإما بالغين بها المدى وإما هلاكاً وهو أحرى وأطيب

***

ولمّا رأوا ومضى النبوغ تساءلوا أجدهم القدموس فى الدهر يعرب ؟
فإن صحّ هذا فالخليل وخدنه خليقان بالعليا وما تتطلب
لئن مجّد التاريخ أعمال يوسف وما زال بالذكرى يشيد ويطنب
فيوسف هذا الجيل قد سار سيره وما ذاك فى علمى أبرّ وأنجب
فإن كان فى فرعون صادف ناصراً فهذا إلى الأعلام يعزي وينسب

***

ويا أيها الخلّ الوفىّ تحيّة تفيض من القلب الوفىّ وتسكب
أحبّك أهل الضاد فى كل موطن عجيب لعمرى والذى فيك أعجبُ
تغنيتَ بالوادى بشعرك هاتفاً فشرّق فيه المنشدون وغرّبوا
ويا شاعر القطرين مصر وسوريا ومن قال أقطار العروبة أصوب
تمرّست فى شتى الشؤون ولم تزل تهيمن فى شتى الفنون وتخلب
لأنت على السودان ألطف وافدٍ وأصفى من الماء الزلال وأعذب

تملّى بنــوه من بيانك حقبـةً　　　وها هو بالفـذّ الكريم يرحّب
أما شمت فى النيلين بسمة وامق　　　أأصغيت للأطيار فى الدوح تخطب ؟
لقد طال حقـاً شوقها وانتظارها　　　فلا بدع إن هبّت تهش وتطرب
حللت بنادينـا فهزته نشوة　　　تظلّ بهـا الأرواح تطفو وترسب
فمن منـك أولى أن يزين ندّينا　　　ومن هو أحنى منك قلباً وأحدب ؟
فعوفيت يا مطران وازددت رفعةً　　　وليس لنا من بعـد ذلك مطلب

والقصيدة الثانية لشاعر الشباب السورى اللبنانى الأستاذ جوزيف لطيف صباغ ، وهذا نصها :

اطو الجنـاح على ربى السودان　　　أنّى اتجهت فأنت فى أوطان
العرب إخوان وإن بعـد المدى　　　أو فرّقتهم دورة الحـدثان
فإذا شدا طيرُ الرياض « بزحلة »　　　عزفت له « الشهباء » بالألحان
وإذا تغنّى فى « الكنانة » بلبلٌ　　　هتفت شوادى النوب بالتحنان
الشرق مهـدٌ للفنون ولم يزل　　　وطن النبـوغ ومسرح الفنّان
الشرق أنجب نخبـةً ميمونةً　　　من كل نابغـةٍ وربّ بيـان
سطعت معـالمه بهم واستكملت　　　خيـلاءها بالشاعر « المطران »

***

يا شاعر الأقطار يا خدن العـلى　　　يا بلبلاً غـرداً على الأغصان
انشـد لنا الشعر الرصين فإننـا　　　نهـوى القريض وفيـه غرّ معان
لك فى القـلوب مكانة مرموقة　　　تسمو بهـا قـدراً على الأقران
فإذا نـثرت فلؤلؤاً متنـاثراً　　　وإذا نظمت فذاك عقـد جمان
فى شعـرك الزاهى بيـان مسكر　　　مثـل الطلا قد عُـتّقت بدنان
هـذى قصائدك الفريدة انهـا　　　قبسٌ يضئ دياجر الأذهان
الشعر من فيض الإله معينـه　　　وبيـانه من نفحـة الرحمن

لو أنشد الوثنىّ شعرك ساعةً لجثا وسبّح خالق الأكوان

***

ذكراك تدعو ذكر خدنٍ عالمٍ من آل « نحاس » رفيع الشان

هو الاقتصادى الشهير ومن له آياته فى الجدّ والعرفان

قد حلّ ضيفاً فى الربوع فغرّدت جذلاً بلابله على الأفنان

أو لست تسمع من بديع فنونها ما قام ينشد « شاعر الشبان » ؟

شغفت به الآذان قبل مجيئه فكأن ذكراه لحون كمان

والأذن قد تهوى الكريم لصيته من قبل أن تحظى به العينان

يا أيها الضيفان أهلاً جئتما وحللتما بروابع الإخوان

شرّفتما هذا الجناب فعطرت أرجاؤه بالمسك والريحان

بشرى مجيئكما غزت أرواحنا وغدت حديث مجالس الخلاّن

قد كان عيداً يوم وافانا النبا والعيد عند لقاكما عيدان

حفلة ملجأ القرش بأم درمان

وأقام «ملجأ القرش» بأمّ درمان حفلة فى داره بعد ظهر يوم الاثنين ٢٩ يناير ١٩٤٥ وصفتها جريدة « صوت السودان » فى اليوم التالى فقالت :

« لم يفت لجنة ملجأ القرش المتيقظة أن تنتهز هذه الفرصة المواتية وتحتفل بضيفى السودان العظيمين شاعر القطرين خليل (بك) مطران والاقتصادى الكبير الدكتور يوسف (بك) نحاس فوجهت لهما الدعوة أمس فى تمام الساعة الرابعة والنصف .

وفى الموعد المضروب ، توافد على الملجأ كبار المدعوين من رجالات العاصمة المثلثة وفى طليعتهم مولانا صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ حسن مأمون قاضى قضاة السودان والأستاذ اسماعيل الأزهرى رئيس المؤتمر ورئيس أركان حرب الجيش المصرى ومدير عام مدرسة (فاروق) الثانوية والأستاذ حسن طاهر رئيس

الملجأ السابق . وكان فى استقبالهم فضيلة مولانا الشيخ عمر إسحاق رئيس الملجأ وأعضاء لجنة الملجأ الموقرة .

وبعد أن لبثوا قليلاً فى حجرة الاستقبال ، طاف الجميع على مصانع الملجأ المختلفة فأعجبوا أيّما إعجاب بإرهاصات النهضة الصناعية المرتقبة ، وأبدوا ملاحظات طيبة ستكون موضع عناية القائمين بشأن الملجأ .

ثم انتقل الجميع إلى صحن الدار حيث نسقت مائدة فخمة امتلأت ففاضت بكرم رجالات الملجأ . وبعد أن تناولوا أقداح الشاي على نغمات موسيقى الملجأ الشجيّة ، وتجاذبوا أطراف الحديث ، استأذن الضيفان للانصراف . وقد سجّلا فى دفتر الزيارات هذه الزيارة الكريمة . وخرج الجميع مسرورين لهذا الثوب الذى بدا فيه الملجأ ، ولهذا النشاط الذى بدا فى أروقته . وما ذلك إلاّ بهمّة هؤلاء القائمين به الحادبين عليه » .

حفلة شيخ الأندية

وأقام «نادى الخريجين» فى أم درمان — وهو شيخ الأندية — حفلة فى مساء يوم الاثنين ٢٩ ينـاير ١٩٤٥ أتت على وصفها جريدة « صوت السودان » فى عـددها الصادر فى اليوم التـالى فقالت تحت عنوان «أمسية نادرة فى شيخ الأندية أقامها احتفاء بضيفى العاصمة — سوق كبرى للأدب السودانى » :

تنسيق : اهتم سكرتير النادى الأستاذ حسن عوض الله بتنسيق النادى تنسيقاً يتناسب مع مكانة شيخ الأندية وجلال الضيفين الكريمين ، فبذل المجهود الجبار حتى يلبس النادى ثوباً زاهياً ويبدو فى أحلى صورة . فوفّق إلى ما أراد ، فكنت ترى المصطبة الكبرى وقد امتدت فيها الموائد الضخمة والمقاعد الوثيرة ، وازيّنت أرضها بالأبسطة والسجاد وأشرقت منصّة الخطابة وعلاها مكبر الصوت .

موسيقى الهلال : وكانت تصدح موسيقى الهلال فى فترات متقطعة . وقد تبرع

بها النادى الرياضى مشاركة منه فى الابتهاج بالضيفين الكريمين .

كبار المدعوين : وفى الساعة السادسة توافد كبار المدعوين على شيخ الأندية ، وقد وفّق النادى فى جمع عددٍ ضخم من كبار رجالات العاصمة المثلّثة وممثلى الهيئات المختلفة وكبار الشعراء والأدباء والاقتصاديين .

كرم وضيافة : وكان رئيس النادى الأستاذ صادق شوقى يلقى الضيوف مستبشراً ومرحّباً . وقدمت للجميع المرطبات والحلوى وأقداح القهوة ، فغمرهم كرم منظمى الحفل حتى فاض .

سكرتير النادى : ثم تقدم إلى المنصة سكرتير النادى الأستاذ حسن عوض الله وألقى خطاباً هو فصل الخطاب ، تعرّض فيه لنواحى النهضة الحديثة أجمعها ، ووفّق بين أمانى الخريجين والجيل الجديد ، وربط هذا بما يدور على ألسنة المخلصين من أبناء هذه البلاد .

عبد الرحمن شوقى : ثم صعد إلى المنبر الشاعر الكبير الأستاذ عبد الرحمن شوقى الذى لازم النهضة الحديثة وسجلها فى شعره الخالد ، والذى كان دائماً فرس الميدان يصول ويجول والتوفيق يلازمه أينما صال وجال . ولولا بعض السرعة فى الإلقاء ، لتضاعف إمتاع الحاضرين بهذا الشعر السهل الممتنع .

الخليل يتحرّك : وما كاد شوقى يفرغ من قصيدته حتى رأينا شاعر القطرين يتحرك من أعواده ويريد أن يجيش بمكنون خواطره . وخفّ إليه سكرتير النادى ورجاه أن ينتظر حتى ينتهى برنامج الحفل . فجلس بالقرب من المنصة يستمع وقد ظهرت عليه علامات التأثر العميق .

شاعر الشباب : ثم جاء دور شاعر الشباب (شاعر النهضة) محمد المهدى مجذوب فكان قوياً تتسابق إليه المعانى وتتدفّق وتختلط بالحس والشعور فتنتزع هذا الإعجاب الذى عبر عنه الحاضرون بهذا التصفيق المتواصل ، ووفّق أيّما توفيق فى تصوير « الخرطوم » وهي تتحرق للقيا الضيفين الكريمين .

محمود الفضلى : وقال الأستاذ محمود الفضلى إن منظّمى الحفل ألحوا أن يستمع الحاضرون إلى شئ من شعر العباسى ، فألقى قصيدةً من مختاره تناسب ذلك المقام ، وأسبغ عليها الأستاذ محمود من إلقائه الرائع ثوبًا زادها روعةً على روعةٍ . فماذا بقى إذا اجتمع شعر العباسى وإلقاء محمود ؟

شاعر العروبة : وقبع الأستاذ الكبير الشيخ عبد الله عبد الرحمن شاعر العروبة فى أروقة المؤتمر يعدّ قصيدةً ابتهاجًا بهذا الحفل . واعتذر لأنه لم تمكنه الظروف من إعداد شئ يتناسب وجلال الضيفين الكريمين . وأبت عليه نفسه أن يكرّم الناس شاعر القطرين فيتخلّف عن تكريمه . وألقى قصيدةً لم يتمكن من ربطها لضيق الوقت ، فلا غرابة إذا توقف عند الإلقاء بعض التوقف ، وإذا اضطر لبتر بعض هذا الشعر الجميل . ونرجو أن نوفّق فى نشر تلك القصيدة العامرة بعد أن يتمّ تكوينها .

ختام : ثم جاء دور شاعر القطرين ، ذلك الشيخ الكبير ، فتقدم إلى المنصة وارتجل خطابًا عامرًا نحلّى به صدر هذا العدد . وقد تمكّن من كتابته الأستاذ الطيب شبيكة وكاتب هذه السطور . وبقليل من المقارنة والمجهود ، استطاعا أن يخرجا به كاملاً غير منقوص .

شكر وتقدير : وخرج ذلك الجمع الكريم شاكرًا لهيئة شيخ الأندية هذه الأمسية النادرة لا الليلة الساهرة كما أرادها السكرتير أن تكون » .

أما كلمة الأستاذ حسن عوض الله سكرتير النادي ، فقد نشرتها جريدة صوت السودان فى عدد يوم ٣١ يناير ١٩٤٥ ، وهذا نصها نقلاً عنها :

« انها لأمسية فريدة بين أمسيات هذا النادى المجيدة . هذه الأمسية التى فزنا فيه بعلمين عظيمين . علم من أعلام البيان والاعجاز وعلم من أعلام الاقتصاد والانجاز . لقد عرف هذا الجيل فى مطلعه مطران العظيم وأعجب بمعانيه فى شعره . ثم شب الجيل وكبر وكبرت فى ذهنه معانى مطران وزادت فى نفسه روعة شعره روعة ، وتجلت له

عظمة بلائه فى رفع لواء التجديد فى الشعر . فقد استطاع مطران أن يزاوج وحى لبنان الفيحاء وضفاف النيل المشرقة الوضاءة ، زاوج بين وحى الأرز وبين ما فى مصر الخالدة من مادة ومن إلهام . مصر مهد التاريخ ومنشأ الحضارات حيث تجثم على ضفة النيل معابد الفراعين وهيا كلهم ، حيث تعلو ابراج البيع والكنائس التى شادتها المسيحية المتسامحة منذ أطوارها الأولى ، وحيث تشرف المآذن وتقوم المحاريب شاهدة بعظمة الإسلام فى ماضيه وحاضره . مصر التى تآخت تحت ظلالها الأديان وتفاعلت بين أحضانها الثقافات ، فنتج عن هذا التفاعل روح النهضة المرتجاه للشرق الحديث بما وفر لها من مستلزمات أصيلة راسخة .

لقد كان مطران من إحدى إرهاصات الجامعة العربية ومن حداتها الأول . أولئك الحداة المخلصون الصادقون الذين لم تشب مرماهم شهوات السياسة وأهواؤها ، وما مسخت الأطماع فى نفوسهم نبالة المقصد . لقد حدا قافلة الشرق يوم الشمل متفرق والعسف ممض والناس نيام يوم هتف :

أقول وقد أفاق الشرق ذعرا — من الحال الشبيهة بالمنام
بلادى لا يزال هواك منى — كما كان الهوى قبل الفطام
أقبّل منك حيث رمى الأعادى — رغاماً طاهراً دون الرغام
وأفدى كل جلمود فتيت — وهى بقنابل القوم اللئام
لحى الله المطامع حيث حلت — فتلك أشد آفات السلام

أجل أيها الضيف الكريم ، لقد كنت حقاً وسيط العقد فى ذاك النظام ، نظام الشرق المرموق .

ندبت له وجرأك اعتداد — بأقدار الدعاة على القيام
وبين الشام كنت وبين مصر — وسيط العقد فى ذاك النظام

كنت وسيط العقد لا عن زهو نفس ، ولا عن هوى أو مطمع ، ولكن عن ولاء أكيد وعن رعى وثيق للذمام .

أو رأيت اليوم من تمام الذمام أن تهبط على الوادى لتتم رسالة شاعر القطرين ؟

لقد أديت شطر رسالتك فى أسفل الوادى أجمل أداء . وها أنت اليوم قد حلقت فى أعلاه ، وشخصت نحوك أبصارنا ، فهل أنت محقق رجاءنا ومتمم رسالتك بما تحمل من رسالتنا نحو الشرق ؟ وليس أبلغ عندى ولا أصدق تعبيراً عن هذه الرسالة مما جاء فى خطاب رئيس مؤتمرنا العتيد إذ يقول : الدم العربى واللسان العربى وشيجتان لا انفصام لهما لربط السودان بالمجموعة العربية . والشرق العربى يتجمع اليوم ليتحد لنيل حريته وتركيز نهضته على أساس التعاون المشترك . ولقد خفق قلب السودان لحادث لبنان ، وانهمرت دموعه لفلسطين من قبل لبنان ، ورابطته بمصر رابطة طبيعية لازمة . وفى السودان رنة سرور فى فرح الشرق ، ودموع فى أحزانه . ولكننا نجد العرب فى غير مصر لا يذكرون السودان ولا يعرفونه . فهل يؤدى عنا الضيف الكريم ان قطراً عربياً يبلغ عدد سكانه ضعفى سكان العراق وثلاثة أضعاف سوريا ولبنان وخمسة أضعاف فلسطين لا يمكن أن يولّى ظهره شطر الشرق ليتجه نحو يوغندا وتنجانيقا والكاب . ولكن هذا القطر الناشىء يأبى إلا أن يتشبث بالأصول التى انحدر منها ، ويأبى إلا أن ينساب تفكيره وشعوره مع انسياب النيل نحو الشمال .

وانت يا ابن النيل ، يا رجل الاقتصاد والانجاز ، لقد عرفنا طول باعك فى تدعيم صرح الاستقلال الاقتصادى فى وادى النيل ، ودأبك فى صمت بليغ فى رسم الخطط ومشاريع العمران ، واستثمار ثروة النيل الخصيب ، والاشراف الدقيق على الانجاز . لم يبهرك ضجيج السياسة ، ولم يشقك بهرج الشهرة والاعلان . بل أردت أن تترك أعمالك تتحدث ، وعلمت انها ستظل تتحدث وتينع وتزهر وتؤتى ثمراتها يوم تتلاشى الضوضاء السياسية ، وتخفت أصداء الشهرة الزائفة ، ويزول الاعلان الكذوب .

لقد استبشرنا ببعثتكم الأولى وترقبنا ، وترقبنا ، ونخشى أن يطول الانتظار . وليس من شك فى ان الوادى جميعه يكوّن وحدة اقتصادية . وليس من شك فى انك قد رميت ببصرك فرأيت جدبًا حيث يجب أن يكون خصبًا ، ورأيت متربة ومسغبة حيث يمشى الناس على أرض من الذهب .

ونحن أبناء الجيل الجديد لا نعذر ، والتاريخ لا يغفل تقصير الشقيق الأقوى

المتأهب الذي تتوفر لديه أدوات العمل لتجديد الديباجتين وتشييد الخراب فى منزل أخيه الشقيق . ان إيماننا بحقنا قوي راسخ لا يتزعزع . ولن نعذر نحن أبناء الجيل الحديث لن نعذر لأنفسنا ولا لأشقائنا فى مصر مظاهر التردد والغفلة والامهال . ولو اتحدت منا العزائم ، لأزلنا من الطريق أوعاره وأوضاره ، وحينئذ نكون جديرين بنعمة النيل وبشرف الانتساب إلى النيل :

عار على ابن النيل سباق الورى   مهما تقلّب دهره أن يسبقا

سادتى

إن هذا الندى هو مركز البعث فى البلاد ومنه ترفع أعلام الجهاد . فمن حرمه تطل منارة المؤتمر الهادية تسكب الضوء فى طريق الجيل الجديد المتطلع إلى مراقى التحرر والنور .

إن هذا النادى، وله زعامة أندية الخريجين المنتشرة فى أطراف البلاد، ليمثل السودان الحديث أصدق تمثيل. ولم يعدُ عبد القوى (باشا) أحمد الحقيقة يوم حظي النادى بزيارة (صاحب المقام الرفيع) على ماهر (باشا) ويوم نال شرف عضوية (رفعته) الفخرية وعضوية زميليه عبد القوى أحمد (باشا) وصالح حرب (باشا) . . . لم يعدُ عبد القوى يوم ذاك الحقيقة حين قال :

« إن الذى لم يزر هذا النادى لا يعتبر قد عرف السودان »

فهو إذ يحتفل اليوم بالضيفين الكريمين ، إنما يقدم لهما تحية السودان بأجمعه، ويبلغهما رسالة الجيل الجديد.ونسأل الله العلي القدير أن يوفقنا جميعاً للنهضة بوادى النيل السعيد » .

وهذه قصيدة الاستاذ عبد الرحمن شوقى فى تحية شاعر القطرين ، وقد نشرتها جريدة « صوت السودان » فى عدد ٣ فبراير ١٩٤٥ :

حر القوافى تجىء طوعاً ولا عجبا   علّ القوافى تؤدى بعض ما وجبا

صغها عقوداً لهذا اليوم من درر   وحيّ فيها العلا والعلم والأدبا

فاليوم عيد لهذا القطر أجمعه   هنّىء به الشرق والسودان والعربا

اليوم عيد لنا غنّت بلابله ... فى الروض حتى شدت أعواده طربا

فانشد نشيد الأمانى رُب قافلة ... قد أبطأت فى السرى تشدو به حقبا

حلق مع الفلك الدوار فى فلك ... وزح ان اسطعت عن اسراره حجبا

وانظر بعينيك ما خط القضاء به ... فى اللوح واقرأ لنا مافيه قد كتبا

فذاك عمرى وراء الحجب مستتر ... عليه سور من الأنوار قد ضربا

واهبط الى الأرض خبرنا بما سمعت ... أذناك إن لنا فى سمعه اربا

واثر على الوادى من علم ومن أدب ... فإن ذا الشعب يهوى العلم والادبا

حدثه كيف سمت أرواحنا زمنا ... وكيف كنا على رغم العدى العربا

وكيف كانت لنا الايام طائعة ... كما نشاء فهل تهمل لنا طلبا

حدث بنى النيل عن بغداد عن كثب ... عن الأمين عن المأمون إذ غضبا

سالت دماء بنى العباس بينهما ... الملك أسمى وأغلى من دم سكبا

بغداد كانت مناراً للعلوم فما ... للعلم من طالب إلا لها طلبا

لا تشرق الشمس الا فى مقاصرها ... وليس يغرب عنها البدر ما غربا

وصف لنا كيف دالت وامّحت دول ... وكيف جيش حماة الشرق قد غلبا

وما دهى الشرق فى أبناه قاطبة ... فأصبح الرأس من أبنائه ذنَبا

قد أثقلتنا قيود لا نهوض بها ... وان يكن فيّها قد صاغها ذهبا

أعد على مسمعي ذكر الأُلى سلفوا ... فرُب ذكرى محت فيما محت كربا

ورُب ذكرى سرت فى جسم سامعها ... ردت به الروح فيه بعدما ذهبا

فأنت كالوحي لم تهبط على بلد ... إلا رأينا به الآيات والعجبا

كمحكم الآي والتنزيل جئت به ... وقد ملأت به الأسفار والكتبا

فيا أمير القوافى رب مملكة ... أثار قولك فيها جيشها اللجبا

ورب قول جرى من فيك حزت به ... فى عالم الشعر دون العالم القصبا

فما حدا الحادى إلا من قصائدكم ... ولا شدا بلبل إلا بها طربا

ولا تغنى فتى فى الشرق قافيـة ... إلا وشعرك ما أوحى وما كتبـا

لو كنتُ فى الوادى ذا مال أقمت لكم ... تمثال در ولم أرض به ذهبـا

وقلت للنـاس طوفوا حوله أبدا ... مثل الحجيج فهذا كعبـة الأدبا

فارجع الى مصر فى أمن وعافية ... وزر دمشق وزر بغداد زر حلبا

وصف لهم ما رأت عيناك فى بلد ... بنوه ليس لهم إلا العلا طلبـا

فإن أصاخوا لما تمليه واستمعوا ... فاخبرهُـم عن بنى السودان خير نبأ

وقل لهم إننا لما نزل هدفـًا ... لكل رام ومن قد لام أو عتبا

لا نعرف النوم الا خلسة غضبا ... والحر ان مسه ما ساءه غضبا

لنا اليهم حنـين دائم وهوى ... مهما نداريه عن عذالنا غلبا

فهم لنا اخوة بل هم أشقتنـا ... ومصر لما تزل أمـًا لنـا وأبـًا

الشرق يجمعنا والنيل يربطنـا ... كوحدة جمّعت ما بينهـا العربا

وفى ما يلى كلمة خليل مطران فى شكر المحتفين وتحية السودان ، وقد نشرت فى جريدة « صوت السودان » فى عددها الصادر بتاريخ ٣٠ يناير ١٩٤٥ :

« حيا الله أم درمان ومن بأم درمان ، حيا الله هذه القلوب الكبيرة التى تزهرنا هذا المساء . نحييها بالإجلال والإكبـار ، ونستلهمها كما يستلهم العاشق المشوق وجه المحبوبة المحجبة .

نادى الخريجين ، نادى الشباب ما أعجبه ! وهو يحمل اسم شيخ الأندية أو أقدم الأندية . ألقى عليّ وعلى أمثالى من الشيوخ — والذين فى سنى هنـا قليل ، وأرجو لكل طول العمر — ألقى علينا درسـًا استفدت منه كثيراً مما لم أكن أفدته من قبل .

يا اخوانى اذا خلصت النيـات وصدقت العزائم واتجهت القلوب اتجاهـًا يؤيده الايمان ، فابشروا بخير كثير . ان الأمم تحيا ، ان الأمم تنهض ، ان الامم تصبح ماتريد أن تكونه فى هذه الدنيا بفضل العزائم التى يقدمها هؤلاء الفتيان، وبفضل الاخلاق الكريمة التى يجعلونها فى خدمتها .

أقول أولاً عن صديقي الكبير الدكتور يوسف (بك) نحاس إنه لما قدم السودان قبلى واتصل بأهله وأحبهم ذلك الحب العظيم الذى رأيته يتزايد ويتضاعف العام بعد العام، ليسعد كما أسعد أنا بأن نرى علامات الحياة تدب وتبشّر بأن هذه الأمة التى نحب جميعاً خدمتها تسير فى سبيل الوصول إلى الغاية المجيدة التى تتمناها لها .

وإن كان فى أيامي بقية ، واستطعت أن أعمل شيئاً للعوض عما طوقتموني به من جميل، فإني لأرجو أن أقابل هذا الجميل العظيم المتكرر فى كل مساء وفى كل يوم منذ وطئت أقدامنا هذه الأرض الطاهرة . . . أرجو أن أقابل هذا الجميل، وأن أجعل ذلك العوض يكافئ بعض الشيء هذا الصنيع العظيم .

وأسأله تعالى أن يجعلنى أستطيع أن اكتب شيئاً فى مستوي هؤلاء الشعراء الفحول من كبار وشباب . فقد طوقونا بآيات بيانهم ، وأتحفونا بكل شيء جميل يمثله كل ما سمعته هذا المساء .

فهل أستطيع أن أقابل جميلهم بمثله ؟ أسأل الله أن ييسر لى للقيام بالواجب .

نحن بكل قلوبنا نريد السودان أن يكون فى المستوى الراقى المعادل للمستوى الراقى فى سائر الأمم الشرقية العربية ، ناهضاً علماً وفناً وأدباً واقتصاداً ، ومتخذاً لرقيّه هذا كل الوسائل التى اتخذتها الأمم الاخرى من قبل .

نحن نريد ألاّ يطول ذلك الأمد حتى نكون جميعاً فى مستوى واحد ، وأن نوفق إلى اعطاء صورة تشرح الخصائص التى ميّزنا بها ، مضافة إلى الفضائل العامة التى تجمع أبناء العروبة فى كل مكان .

أنا آسف لأنى لا أستطيع أن أطيل القول وأنا ضعيف عاجز .

كنت أود أن أشارككم فى بعض المعانى التى ذكرتموها ، ولكنى أخاف أن يحول عجزى دون أداء الواجب ويمتد الوقت دون جدوى ، ولعل الله أن ييسر لى لأكون عند حسن ظنكم بي .

إن أخى نحاس قد قام بواجبه ، أما أنا فأرجو أن أعمل بطريقتى الكلامية — التى

أتقنتموها ، وأبدى فيها شعراؤكم وسكرتير ناديكم فى النظم والنثر عجبا — أرجو بهذه الطريقة العملية أن أكون ممن يسر له الله أن يقوم بهذا الواجب الذى ألقى على عاتقي وأنا على ضعفي أنوء به . فأسأل الله لكم التوفيق، ولهذا الندى الازدهار ، وأشكركم على هذه الدعوة التى جاءت بعد زورتنا « لملجأ القرش » ، فقد فرحنا بهذه المبرة العظيمة ، ووجدنا فيها النواة الطيبة لخير كبير مرتقب .

وهاهنا وجدنا أثراً لنهضة السودان ، فحيا الله السودان وحيا أبناءه ورجاله الكرام ، ودمتم فى طول صفاء وسلام .

فى النادى النوبى

وأقام « النادي النوبى » حفلة فى مساء الأربعاء ٧ فبراير ١٩٤٥ فى داره بالخرطوم ألقى فيها الأستاذ محمد توفيق الكلمة التالية نيابة عن الأستاذ محمد نور الدين رئيس النادى :

« أحيي (صاحبى العزة) تحية طيّبة صادقة ، وأشكر لكم يا حضرات السادة مشاركتكم لنا هذا الحفل الذى نقيمه تكريماً لضيفين كريمين كانا طيلة إقامتهما مدعاةً لغبطة القطر ، ومبعث بهجة العاصمة ، ومثار حديث الصحف والأندية .

لمّا عهد إلىّ الأستاذ محمد نور الدين رئيس النادى النوبى بهذا الواجب العذب ، واجب التحدث إليكم والترحيب بكم باسم هذا الندى ، ترددت وترددت ، وذلك لأن الذى يتحدث عن (صاحبى العزة) والذى يتحدث عن مكانتيهما فى عالمى الأدب والاقتصاد يجب أن يكون أديباً صادقاً ملماً بعلم الاقتصاد حتى يعرف كيف يوفّى الضيفين حقهما . لذلك ترددت وأقبلت على نفسى اسائلها : لماذا آثرنى الرئيس بهذا الواجب ؟ وكلما استعصبت وتعذّرت علىّ الاجابة ، كنت أزيدها كذلك إلحاحاً حتى طاوعتنى هى الأخري ، وكان الجواب الذى اطمأنت إليه نفسى واستراح له فكرى ان العادة قد جرت على انه إذا تأهبت مواكب الجيش ، تقدّم الأحدثون ، فالذين من

فوقهم درجة ، وهكذا وهكذا حتى يخلص آخر صفٍ للقادة العظماء . وعلى هذا الاعتبار تقدمت للكلام ، ولكن ماذا أقول ؟

كلكم يعرف (صاحب العزة) يوسف (بك) نحاس كعلم من أعلام الاقتصاد وشخصيّة من شخصيات تلك الزيارة الميمونة التى كانت ولا تزال مصدر الخير والبركة للقطرين بما كان لها من الفضل الأعظم فى إعادة الروح والقوّة لأواصر القربى بعد أن اعتورها الضعف والهزال ، وتوشيج علائق الاتصال بعد أن ظلت مقطوعة مدة من الزمان زاد خلالها شوق الشقيق للقاء الشقيق ، واضطرم إبانها حنين الحبيب للقاء الحبيب . فقد ذاق كل منهما ألم البعد ، وناء كلاهما تحت مشقّة الحرمان ، فازداد شعورهما ويقينهما بأنهما إنما يكوّنان جسماً واحداً ، وانه لا حياة ولا بقاء لجزءٍ دون الآخر .

لقد والى (حضرة صاحب العزة) نحاس (بك) زياراته للسودان منذ ذلك الحين ، وفى هذا لدليل قاطع على مقدار تعلقه به ومحبته له ولأهله . ولا غرابة فى ذلك ، يا حضرات السادة ، وهو رجل الاقتصاد . . . رجل الانشاء والعمل ، ورجل التدبير والخطة . وهو من الرجال الذين يعملون لاستغلال هذا الشرق بقوة الثروة وكثرة الانتاج ، ويربطون الدول الشرقية برباط المصلحة وعلى أساس المنفعة ، زيادة على الروابط الفكرية والروحية .

أما (صاحب العزة) خليل (بك) مطران ، ذلكم الشاعر الفحل ، فليس فى السودان الحديث من يجهل كفاحه فى عالم الشعر والأدب . فقد حدا بقيثارته السحرية إلى الوئام والاتحاد بين أمم الشرق ، ورعى ذمام العروبة ، وأفاء بظلّه الظليل على السودان فتعشّقنا أدبه وروينا قصائده ، وأدب مطران وأمثاله هو الذى وصل القلوب العربية برباط مقدس خالد .

لو لم يكن الضيفان الكريمان شخصيتين بارزتين فى عالم الأدب والاقتصاد ، لكفاهما فخراً أن يكونا فى الأصل من تلك الأمة التى قال عنها حافظ فى شاميّته :

عافوا المذلّة فى الدنيا فعندهم عزّ الحياة وعزّ الموت سيّان
لا يصبرون على ضيمٍ يحاوله باغ من الإنس أو طاغ من الجان

يا حضرات السادة . إني لا أرى من الوفاء لهذا الندى أن أنتهز هذه الفرصة المباركة لأفضى لكم ببعضٍ من رسالته .

فكلما تحدثنا عن وحدة الوادى ، ذكرنا النيل والدين واللغة ، متناسين أن النيل والدين واللغة إنما تربطنا ببلاد وأقطار أخرى . تناسينا ذلك ، ونسينا أن هنالك صلة قوية تربط شطرى الوادى ربطاً قوياً لا انفصام له ، والنوبيون هم تلك الصلة وذلك الرباط .

فكلكم يعلم أن السياسة قد قضت بشطر النوبيين شطرين ، جزء هنالك فى أسفل الوادى ، ولد وترعرع وتعلم هنالك ، لهم ما لاخوانهم هناك من حقوق ، وعليهم ما عليهم من واجبات . وجزء فى أعلى الوادى ، لهم ما لاخوانهم وعليهم ما عليهم . وقد قضت السياسة أيضاً أن تختلف الحقوق والواجبات ، ولكننا ننسى أن هناك صلةً قوية تربط بينهم وهى صلة القرابة ، صلة الدم . وإن فرّقتهم مقتضيات السياسة اليوم ، فإن نداء الدم أقوى وأبقى .

هؤلاء النوبيون قد جثموا منذ الأزل فى المنطقة الوسطى من وادى النيل ، وقد اختارهم الله — لحفاظهم على العهد وجبلة الوفاء ورباطة الجأش والعزم — أن يكونوا الحلقة القوية والرباط المقدس الذى يربط شطرى الوادى .

وان النوبيين ليشعرون بعظم هذه الرسالة التى اختارهم الله لأدائها ، ولذلك ظلّوا مرابطين فى مكانهم رغم تقلبات الظروف ، ورغم المحن والمصائب التى تنزل بهم .

لقد طغى خزان أسوان على أراضيهم ، واكتسح موارد الرزق فيها ، بل اكتسح تراث الآباء والاجداد ، وجار فمحا آثار قبورهم . ومع كل ذلك ظلّوا مرابطين لأداء رسالتهم ، وذلك لعلمهم بأن خزان أسوان إن جار عليهم فما كان ذلك إلاّ لمصلحة مصر ولنماء الزرع والضرع فى أرض الكنانة .

فى سبيل مصر ما لقى النوبيون ، وفى سبيل بقاء وادى النيل وحدةً لا تتجزأ يجود النوبيون بأنفسهم ، ويضحّون بكل نفيس .

ولا يفوتنى أن أقول إن هذا الندىّ يشارك الأندية الأخرى ما تضطلع به من

أعباء . وما أحوج البلاد لمثل هذه الأندية التى تتعاون بعزم صادق ورغبة أكيدة لتحقيق المصلحة العامة للبلاد .

ويشرفنى أن أغتنم هذه الفرصة ، فأكيل الثناء لضيفينا الكريمين أولاً ، وأتقدم إليهما بهذا الرجاء الحار ثانياً ، وهو أن يقوما بالدعاوة لزيارة هذا السودان . فبمثل هذه الزيارات نتعارف ونتكاتف ونتحد . كما أرجو أن يبلغا عنّا لإخواننا كل تقدير وإعجاب ، وأن يعبّرا عن حال لساننا الذى يقول :

تعالوا نجدد دارس العهد بيننا   كلانا على هذا الجفاء ملوم » .

* * *

وألقى الأستاذ الطيب مجذوب سكرتير « نادى العمال » بأم درمان الكلمة التالية فى نفس الحفلة :

« إن أسعد ساعة تمر على المرء فى حياته هي الساعة التى يشعر فيها بأن الظروف قد مكنته من القيام بأداء بعض ما عليه من الواجب المقدس نحو ألبّاء قومه وعظماء أمته .

يا حضرات السادة . يقيم بين ظهرانينا فى هذه الايام رجلان هما من خيرة رجالات الشرق العربي ، أحدهما قطب من أقطاب النهضة الاقتصادية الحديثة ، والثانى لسان من ألسنة العروبة المعبرة عن آلامها وآمالها .

ولئن وقفت بينكم فى هذا الحفل البهيج معبراً عما يجيش بنفسى من أحاسيس شتى ، فلستم ترونى فى كلامى محاولاً الاتجاه إلى ناحية من نواحى التعريف بهذين الضيفين الكريمين ، فهما غنيّان عن كل محاولة من هذا النوع بما لهما من الشهرة الواسعة والمكانة المرموقة فى العالم العربي أجمعه .

ولكنى أريد أن أعبّر عما أجده من غبطة وعما أحسّه من سرور يتضاعف كلما أفكر فى نتيجة اهتمام مثل هذين الزائرين العظيمين بزيارة وطننا السودان ، وما تجنيه

هذه الأمة الفتيّة الناهضة من ثمار مثل هذه الزيارة فى نهضتها الأدبية والاجتماعية والاقتصادية .

يا أبناء الأمّ ، ويا أحفاد العروبة ، ويا خلائف الصيد الأماجد . إن قلوب هذا الشعب لمفعمة سروراً ، وإن نفوسهم لتفيض غبطة وحبوراً ، وما هذا الحفل وأمثاله إلاّ حركة مبعثها تقدير أبناء هذا القطر لشخصيكما ومظهر من مظاهر خلجات نفوسهم المستترة خلف هذه البشاشـــة التى تواجهون بها فى كل منزل وندى ، وكل ذلك جهد المقلّ .

إننى باعتبارى عاملاً ممثلاً لإخوانى من أعضاء نادى العمال بأم درمان ، قد لبّيت دعوة إخواننا أعضاء هذا النادى الشقيق لحضور الاحتفال بتكريم ضيفينا المحترمين .

فأنا أتقدم باسم نادي العمال الذي أمثله ، وهو النادي الناشىء الذي يضم الآن بين جوانبه أكبر مجموعةٍ من هذه الفئة الناهضة التى بدأت تحس بوجودها وتشعر أن لها فى الحياة كما عليهـا واجبات .

أتقدم باسم هذا النادي شاكراً لحضرات رئيس وأعضـاء « النادى النوبي » تفضلهم بتوجيه الدعوة إلينا لحضور هذا الحفل وشهود هذا الاجتماع الرفيع .

وختامًا يا شاعر القطرين :

لا تنكرن وإن أهديت نحوك من ... علومك الغرّ او آدابك النُتـَفَا
فقيّـم البـاع قد يهـدى لمالـكه ... برسم خدمته من باعه التحفا »

فى نادى وادى حلفا

وأقام «نادي وادي حلفا» حفلة فى يوم ٢٢ فبراير ١٩٤٥ ألقى فيها سكرتيره الأستاذ محمد حسنى أحمد الكلمة التالية :

« انه لمن حسن الطالع ، وانه لتوفيق من عند الله أن تتوّج دورة نادينا هذا العام ، وأن تكون عزّة أعمالنا فيه الابتهاج بعيد زيارة قطبي الادب والاقتصاد (حضرة صاحب

العزة) خليل (بك) مطران شاعر القطرين الذي خلق ثروة من الأدب الرفيع مما سيحفظه التاريخ بين صفحاته المجيدة ما بقي التاريخ، ليكون مناراً يهتدى به الأدباء وموردا ينهل منه الشعراء على تعاقب الأجيال ، (وحضرة صاحب العزة) الدكتور، يوسف (بك) نحاس أحد دعائم الاقتصاد بالقطر الشقيق ومن ذوي الفضل فى بناء صرح نهضته الاقتصادية وواضعي الخطط والمشروعات التى ستضمن حتماً مستقبل البلاد فى هذه الناحية .

سادتي ، كان الغرض من وقفتى هذه أن أقول نيابةً عن زملائي أعضاء النادي كلمة الشكر والترحاب . وليس الغرض أن أكون أحد خطباء هذا الحفل . وسأعمد مضطراً إلى الايجاز والاختصار فى موقفٍ لا يفى فيه الإطناب بالمطلوب ، وذلك أمر عسير ، ولكنى سأحاوله جهد الطاقة . وليس هذا زهداً فى التمتع بالحديث إليكم ، أو غنى عن شرف المثول أمامكم . كلاّ ، بل هذا مما تتوق له النفوس ، ويستبق إليه الناس ويتنافس فيه المتنافسون . ولكن لا أريد أن أكون أنانياً فأستأثر بالشرف ، ولا أكون جائراً فأحرم سادتي الحاضرين من التمتع بالاستماع إلى ضيفينا الكريمين والسمر معهما أكبر وقت ميسور .

ولكن ما هذا الوحي القويّ الذى يدفعنى دفعاً ، وما هذا الاحساس العميق الذى يضطرني اضطراراً للاسترسال فى الحديث رغم إرادتى ! إنه وحيٌ مستمدٌ من شخصيّ المحتفل بهما ، وإحساس بالفضل الذي يطوّقنا به من وقتٍ لآخر إخواننا رجال الكنانة بتكرار الزيارة لنا لتفقد أحوالنا وتعرّف ما وصلنا إليه من التقدّم والنهوض . فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

سادتى . ان هذه الزيارات لمن أقوى دعامات الارتباط ، وأمتن وشائج الاتحاد ، وأبقى حلقات الاتصال . ليس بين القطرين المتجاورين فحسب ، بل بين جميع بلاد الشرق العربى . وأكرم بذلك من هدفٍ سامٍ وغرضٍ نبيل يحلو فى سبيلهما لقاء المصائب ، ويسهل من أجلهما تخطّى العوائق . وهذا سر تدفق أبناء هذا البلد الى الأقطار العربية

المجاورة . فوجهتنـا دائماً وفى جميع الأزمان إلى الشمال . ولا غرو ، ففى الشمال مصر الشقيقة الوفيّـة ، وفى الشمال الوحدة العربية العظيمة ، وفى الشمال المدنيـة الحديثـة النامية . إذن فإن يمنا وجهـةً اخرى فهو تقهقر نأباه ، ونـكوص لا نرضاه ، وجحود قد نبذناه .

والآن يا سـادة . أرى أن زملائى يرمقوننى بنظرات الشكّ فى البرّ بوعدي بالايجاز والاختصار ، ولا سيما خطباء الحفل . فلأبر اذن بوعدي ، غير أن لى ملاحظتين أبديهما : أولاهما هي أننا دائماً بحكم موقع مدينتنـا نتحمل نيابة عن باقى القطر مرارة الرحيل والفراق . ولـكن لا بأس ، سنظفر دائماً بأول الترحيب والتلاقى . والثانية هي أن هذا الحفل حفل استقبـال ووداع فى آن واحد ، وذلك لضيق ظرف المحتفل بهما وإلحاح مشاغلهما .

فأهلاً وسهلاً ومرحباً ، وعلى الطائر الميمون وفى رعاية الله . وأختم كلمتى بتقديم وافر الشكر وعظيم الامتنان نيابة عن زملائي أعضاء النادي (لحضرتي صاحبي العزة) المحتفل بهما لتنازلهما بقبول الدعوة ، ولضيوفنا من رجال الجاليات وجميع اخواننا الذين شاركونا بتلبية الدعوة » .

* * *

وفى نفس الحفل أنشد الدكتور محمد رياض المفتش البيطري ومندوب الحكومة المصرية بوادى حلفا القصيدة التالية :

شاعر الأقطـار لا القطرين بل   شاعر الدنيـا وقطب المشرقين
ينهض الشعر الى استقبـالكم   أين قطر الغيث من بحرك أين
لك فى أعناقنـا دين النهى   وهـو ما تعلم دين أيّ دين
ان تف الدنيـا لكم حقاً فقد   نلت من قبـل وفاء الامّتين

* * *

دولتان : الشعر والمـال معـًا يا لركب فيه كلتـا الدولتين
زرتما السودان قطبين فهـا عنبر النيـل تراءى كاللجين

* * *

كلّ ايجاز واطناب ٍ نهى فاعذرا قصدي لإحدى الحسنيين
وابلغـا مصر على متن الضحى كوكبي سعد ويمن سالمين

وألقى الأستاذ أبو القاسم محمد بدري رئيس الجمعية الأدبية « لنادي وادي حلفا » الكلمة التالية فى نفس الحفل :

« أحييكم أفضل تحية وسلام ، أحييكم تحية ملؤها الحب والاخلاص والوئام . أريد أن أتحدث إليكم نيابة عن اخواني أعضاء النادي حديثاً مبعثه الغبطة والانشراح، ومصدره النشوة بلقاء الأرواح للأرواح .

لقد ابتهجت حلفـا عروس النخيل بل كل مدن النيـل بمقدم الشقيقين ، (صاحبي العزة) يوسف (بك) نحاس ألمعىّ الاقتصاد وقطب الأعمال وخليل (بك) مطران خنذيذ الشعراء وكبير الأدباء . ابتهج القطر كله وبلدتنا ابتهاجاً غمر كل شخص ، وانطبع فى قرارة كل نفس انطباعاً لا يمحى من الاذهان ، لأنه أبقى على الايام من الايام .

إننا نعرف الامصار العربية ، أيها السادة الـكرام ، معرفة مصدرها تقويم البلدان ، معرفة تستند إلى السماع والقراءة ، وليس الخـبر كالعيان . لأننا نجهل ما يتفجّر من عواطف الإخوان ، وما يتدفـق من شعورهم الحار وشغفهم القوى الفوّار إلى المعرفة والاخاء والاخلاص والوفاء . وسبب ذلك راجع إلى بُعد المـكان وشواغل الزمان ، حتى أصبح ما بيننا من صلات قديمة فى طىّ النسيان إلى أن قيّـض الله لفيفـًا من أبناء العروبة الأمجاد يسعون لربط الماضى بالحاضر ، وبناء طارف الجديد على تالد القديم ، وفـّقهم الله لما يعملون ، وكلل مساعيهم بالنجاح العظيم .

لا ريب أن الوحدة العربية ، التى هي لـكل منـّا أصدق أمنيـّة ، على وشك التحقيق بإذن الله بين كل الاقطار ، ولـكنها لا تثمر ثمرتها اليانعة وتؤتى أكلها فى كل حين سائغاً لذيذاً إلا إذا كانت دعامتها الصلات عن طريق الزيارات .

إن الضيفين الكريمين ، يا سادة ، قد ساهما بأكبر نصيب فى توثيق وشائج الرَّحم وأواصر القربى بين البلاد العربية . دعوني أقول : لن تكون بعد اليوم ، إن شاء الله ، فواصل تحول بين المعاشرة والمصادقة ، ولن تصبح بعد الوحدة سوريا ولبنان ومصر والسودان . . . كل هذه مسمّيات مختلفة لقطر واحد . إن وطننا هو العروبة ، ولغتنا هى العربية ، وأجناسنا هى المودة القلبية ، والألفة الروحيّة .

يا (صاحبى العزة)

لقد شغلنى كلام الوحدة الحلو الرقيق عن إيفاء الشقيق حق الشقيق . ولو أن الحديث عنهما فضلةٌ ، كما يقول رجال اللغة والأدب ، لأن كليهما أشهر من أن يشهر ، ولكن بيانى شرحٌ وإيضاح وترديد ، والترديد عذبٌ ومباح .

إن (صاحب العزة) يوسف (بك) ، أيها السادة ، رجل اقتصاد وكفاح ، جعل وكده المتواصل تدعيم النهضة الاقتصادية فى البلدان العربية على أسس قويمة من الروابط الفكرية والوشائج القلبية .

لقد خلّد ضيفنا الكريم اسمه فى سجل الخالدين مع صحبه رواد البعثة المصرية عام ١٩٣٥ ، تلك البعثة المباركة التى رأبت صدع الشمل بعد الشتات ، وأحيت ما اندثر من العلاقات ، وأمرعت بالخصب الأرض الموات ، لأنها وثّقت صلة التجارة بين القطرين ، ونجمت عن هذه الصلة المحمودة صلاتٌ وصلات فى كافة النواحى ، من اقتصادية وثقافية واجتماعية وما إليها .

لم يقصر مجهوده على جمع المال لنفسه وأسرته فحسب ، بل عمل على استثماره وإفادة إخوانه ونفع أسرة الوطن العربيّ كله . ويتجلّى ذلك فى كثرة زياراته لهذا القطر ، وتفكيره فى استغلال خيراته . وفّقه الله لتحقيق ما يريد من إنشاء المؤسسات وربط البلاد العربية بأمتن الصداقات . إنه يعمل جاهداً لبناء نهضةٍ اقتصادية عربية تؤسس على صرح لا تزعزعه الأهواء ، وتلعب به أيدى الخفاء . وكيف يدكّ صرحٌ قوامه الإخلاص ، ودعائمه المحبة وأسس الصداقة والوفاء . سرْ على بركة الله يا هادي

الطريق ويا قائد القافلة مظفـراً منصوراً . أمدّ الله فى عمرك وأعانك على عملك .

سـادتى ،

أما (صاحب العزة) خليل (بك) مطران ، فهو شاعر الأقطار ، وشعره ينهض دليلاً ساطعًا وحجّـة ناطقة بما يزخر من معانٍ سامية وأغراضٍ جليلة ترمى الى تقوية الروابط الفكرية والروحية بين البلدان العربية . أليس هو القائل فى تحية الشام لمصر :

الى مصر أزفّ عن الشآم	تحيات الكرام الى الكرام
نُدبت لها وجرّأنى اعتدادى	بأقـدار الدعاة على القيام
فحبـًا أيهـا الوطنان ! إنى	وسيط العقد فى هذا النظـام
وسيطالعقد، لا عن زهو نفسٍ	أقـل الرأي يلزمنى مقـامى
ولـكن عن ولاءٍ بي أكيدٍ	وعن رعى وثيـقٍ للذّمام

فأنت أيها الشاعر الكبير ، كما قلت ، ولا تزال وسيط العقد بين مصر والشام ، ثم بينهما وبين السودان وسائر أقطار العروبة . وإنك أيضًا كنت ولا تزال نصيراً للتآلف والتعارف ، يُعينك على ذلك خلق عظيم ورأي راجح ونفس صافية ينطبع عليهـا كل ما يمر بها ، بفضل ما حباها الله من رقّـة المشاعر ودقّـة الإحساس .

أنت ، ولا ريب ، ثالث ثلاثة من الشعراء والأقطاب الذين كرسوا حيـاتهم ووقفوا جهودهم على انهاض العروبة ، وحفظ تراثها الخالد بإنمائه وإعلائه . إن لـكم أثراً وأي أثر فى جزالة المعنى وفخامة المبنى وبراعة الابتكار والتجديد وحسن الاقتباس من الأجانب بما لا يشين لغة الأعارب .

عرفتم كيف تستفيدون من لغاتهم دون تقليد ، وتنهجون نهج آبائكم العرب دون تقييد . فكانت لذلك صفحاتكم فى الأدب من أنصع الصفحات ، ونهضتكم فى الثقافة من أرسخ النهضات .

أعانك الله يا أديب الشرق وشاعر العروبة بعمرٍ مديد لتستمر فى كفاحك بعد أخويك ، وتُـعلي كلمة العروبة ، وترفع مكانة الشرقيين . »

مطرانيـــات

ولست أريد أن أختتم فصول هذا الكتاب دون أن أتحف القرّاء بنفحات من أدب صديقي الراحل العظيم الأستاذ خليل مطران ، الذي أكرمني الله بصداقته وحباني بمودته فكنّا أكثر من شقيقين ، والفضل في ذلك معزوّ إلى الشمائل الغرّ التي تحلّى بها مطران فجمّلت مودته، وجعلت الناس يقبلون على خطب ودّه .

كنّا في حلفا نتأهب للسفر إلى مصر عائدين من رحلة السودان ، فتلقينا تحية شعرية بالتلغراف من الأستاذ محمد نور الدين رئيس « النادى النوبى » مطلعها :

إذا ودعتــكم فبكل قلبٍ   من السودان يشتعل اشتعالا

فردّ عليه مطران ببرقية اخرى قال فيها :

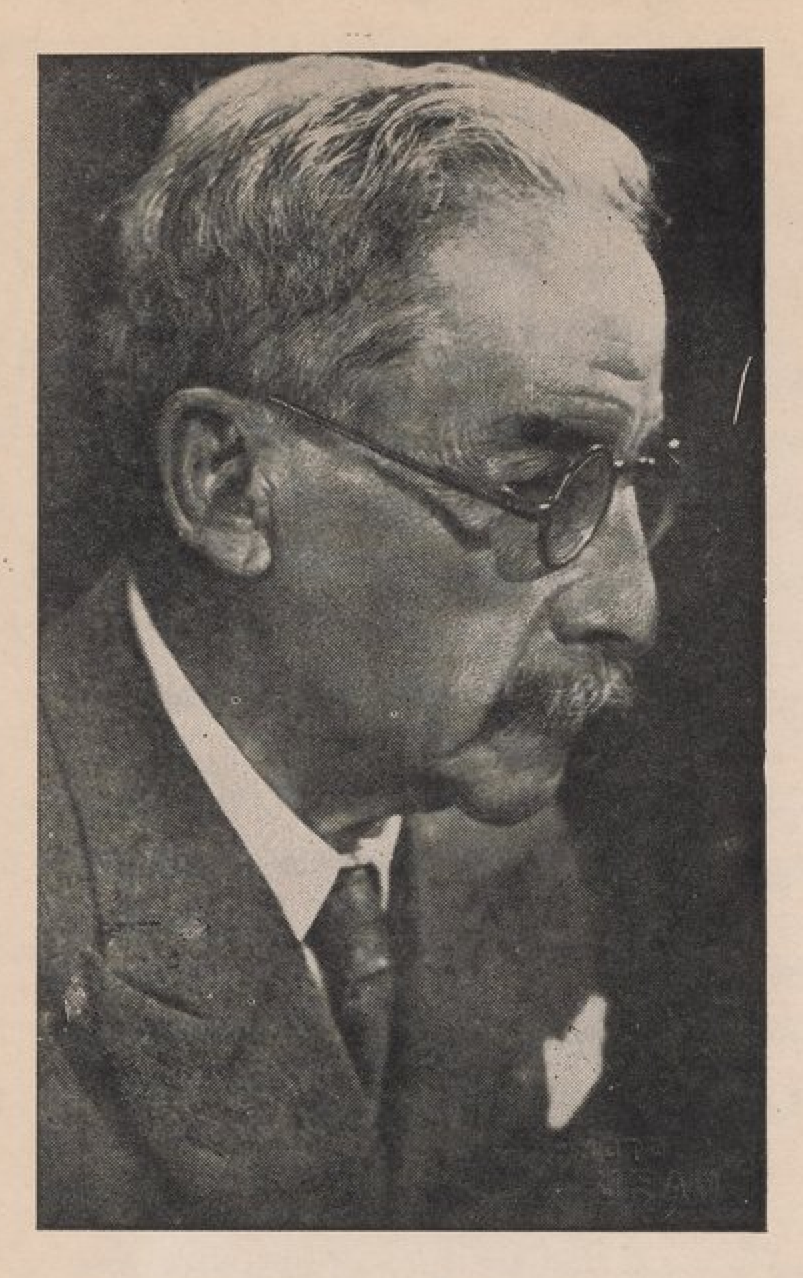
تنسّمنا تحيّتــكم فأحيت   وإن تك زادها الشوق اشتعالا

وما أرواحنــا متفرّقـات   جري الوادى جنوبًا أو شمالاً

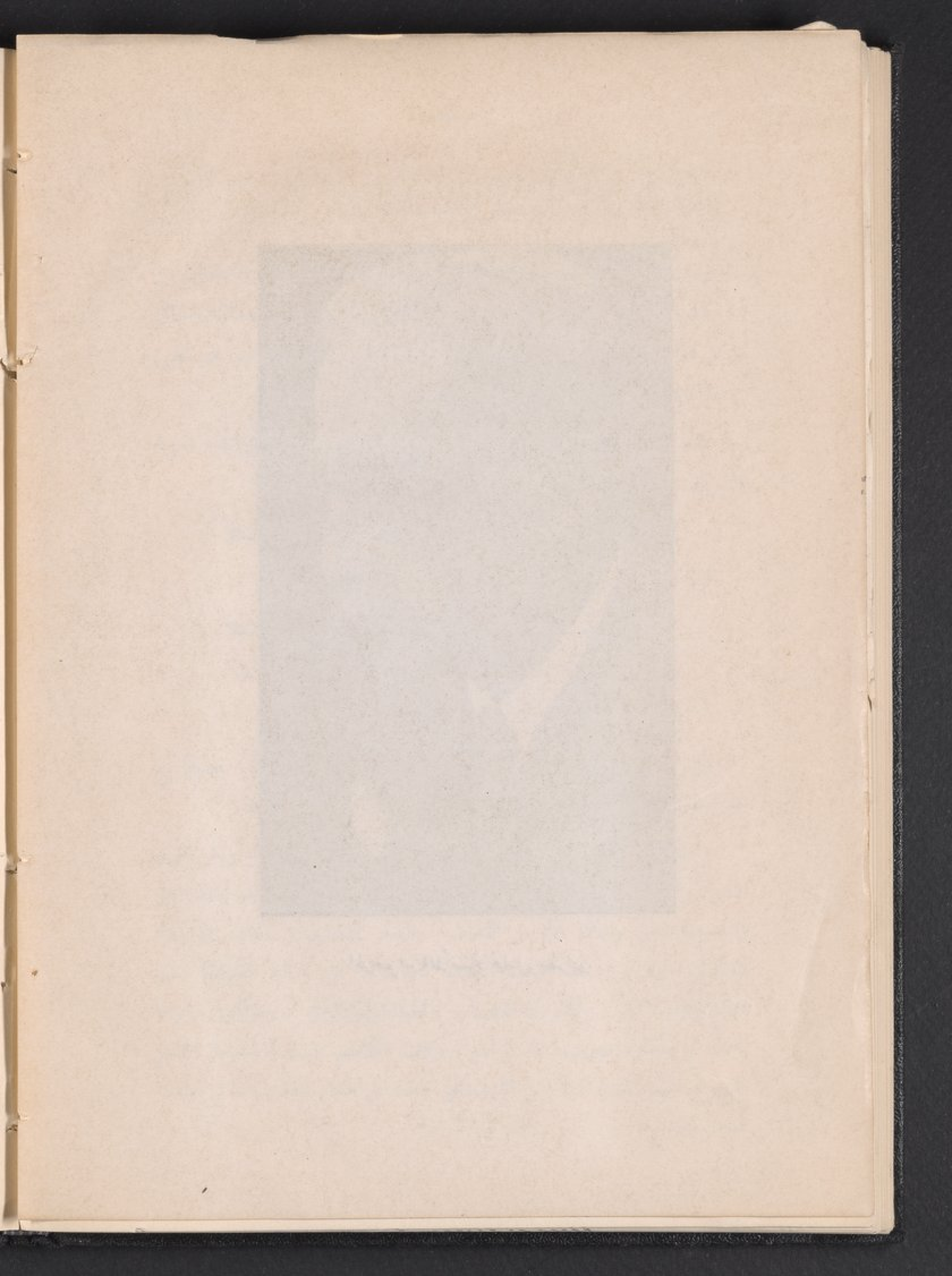
***

ونشرت جريدة « النيل » فى عددها الصادر فى يوم ١٨ ينـاير ١٩٤٥ حديثًا مع خليل مطران بعنوان « بين يدي ملك القريض » رأيت أن أثبته بنصه هنا :

« خليل مطران » اسمٌ رنّ فى سمع الأقطار الناطقة بالضاد منذ أواخر القرن الماضي . وكانت ، ولم تزل ، له فى القلوب مكانة وفى النفوس اعتلاق . وقد أحاطته هو وصاحبيـه شوقى وحافظ هالة من القداسـة والسحر وضعتهم فى مصافّ الأصفياء الممتازين . ولا جرم ، فقد قاموا مع النهضـة كأنما كانوا على ميعاد ، فأصبحوا لسانها البليغ وبلبلهـا المغرّد وأنشودتها المفضّلة . رفعوا صوتها بالرأي ، وحركوا مشاعرها بالحداء ، وأسالوا دموعهـا بالذكريات ، وكانت أقلامهم البـارعة وشعرهم الحماسي وشدوهم الملهم القوي قوةً من القوى التى صنعت فى ظلام الخطوب ما لم يصنعـه السيف والمدفع .



المرحوم الأستاذ خليل مطران



عد بنظرك إلى الوراء قليلاً ، فإنك كنت ترى الناس يتسمعون لدى كل حادث إلى صوت هذا الثالوث قبل أن يتلفّتوا لأعمال الزعماء السياسيين أو الأبطال المدافعين. فقد كانوا أشبه ما يكونون بهذا النفير الذى ينبّه الغفاة إلى واجبهم ، ويوجه الضالّين إلى طريقهم .

وإن تاريخ الشعوب العربيـة سوف لا يضن على ثلاثتهم بأنصع وأمجد مكانٍ من صفحاته .

وقد غدوت أمس إلى ملك القريض «مطران» فى « الجراند أوتيل » حيث أتيحت لى فرصة الجلوس إليـه ساعة من زمانٍ كانت من أندي الساعات على قلبي وأدناها إلى نفسي . فهو رغم بلوغه الحلقة التاسعـة من عمره ، لم يزل متمتعاً بأمضى عقل وأسحر حديث وأجذب شخصيّة . وقد كنتُ أحسّ وأنا بقربه بأن روحي شوقى وحافظ تحلّقان حولنا ، وأن الماضى والحاضر يجتمعان ، وأن عبارات « مطران » إنما تنطلق حين تصدر منه ، من معينٍ يشرق بالذكرى ويضوع بنفحات التاريخ . . .

و « مطران » ربعة القامة ، نحيل الجسم ، نشيط الحركات ، يمشى فى غير وَهنٍ ، ولغته فصيحة جزلة وجميلة تمشى فيها النكتة اللغوية ، فلا تكاد تخلو منها إلاّ قليلاً .

تسأله السؤال ، فلا يتريث فى الإجابة ، وإنما ينبعث بها كأنه قد أعدّ للأمر عدّته ، مما يدل على سرعة بادرته واتسّاع اطلاعه وبُعد غوره ومضاء عقله . وقلّ أن يقف أو يتردّد أثناء الحديث ، فهو يمضى فيه حتى نهايته ، أشبـه بالفرس يريد أن يدرك غايته .

أعجبنى منه أنه لا يتحدث عن نفسه كثيراً ، ولا يزدهي بشعره وبماضيه ، وأنه يحاول أن يجعلك تفهم أنه أقلّ مما يذكر عنه ، وأن كل ما كتبه كان ببريق أصدقائه ولمعانهم .

قلت (لعزّته) : لعلك وجدت السودان كما أحببت ، ولعله راق لك ؟

قال : الحق أنني أتيت مريضاً متداوياً ، وقد كان صديقي يوسف نحاس مشجّعي على هذه الزيارة . فقد زار هذه البلاد من قبل خمس مرّات ، وأحبها .

وقد تكتمت خبر سفرى عن المتصلين بى ، وقلت لعل الله مع السكوت والسكون يهيىء لى الراحة التى تهب إلى جسمى صحته وتعيد إلىّ صوتى الذى اختطفه منّى السعال . بيد أن كرم السودانيين والمصريين والسوريين واللبنانيين من اخواننا أبى عليهم إلاّ أن يعنوا باستقبالنا والترحيب بنا . وها نحن فى هذا الفندق ما نخلو لحظةً من وفودٍ تشرفنا أو دعوات إلى حفلاتٍ عامة أو خاصة ، مما اضطرنا إلى ارجاء الدعوات الأخيرة لأن الأولى تخصّ هيئات أو معاهد .

وقد إتّفق حين وصولنا أن كانت موجة الحر شديدة ، ثم تلطف الجو . وها أنت ترى أننا ونحن فى الشهر الشديد البرد عادةً نحسّ بأننا فى الربيع . واذا كانت السماء تداعبنا بخطراتها اللطيفة ثم تقوى احياناً حتى تشبه الرياح ، فهي كاليد الحنون ، تلطف ثم تشتدّ ، وفى كليهما رحمة وفى كليهما رضى .

وان أميز شىء وجدناه لهو صفاء الجو المستمر ، هذا الصفاء الذى لم تشبه منذ مجيئنا سحابةٌ . ثم جفاف الجوّ ، فإن الندى الذى يتساقط فى مثل هذا الوقت فى البلاد الاخرى ويحدث رطوبةً يقلل من محاسنها فعلاً .

ثم انتقل للحديث عن الخرطوم فقال :

وجدنا الخرطوم مدينة جميلة بادئة العمران بدءاً حسناً ، وتمنّينا لو أن المثلّث الذى تتألف منه هذه المدينة والخرطوم بحرى وأم درمان يصبح مدينةً واحدة كبرى ، اذن لتكوّنت حاضرةٌ من أعظم حواضر الشرق ومن أجدرها بالازدهار وبازدياد العمران ، لا سيما وأن فى صدر هذا المثلث ملتقى النيلين الأزرق والأبيض ، وهو ملتقى نحبّ أن يكون معناه تمثيل الملتقى فى العاطفة الأخوية بين القسمين الكبيرين اللذين يرويهما هذا النيل ويُحييهما .

قلت : هل ترى أن دولة الشعر العربي فى اضمحلال ، وما رأيك فيمن يقول بفناء الشعر تدريجاً ما عدا الغنائى منه ؟

قال ، وقد برقت عيناه : ان الشعر يتحوّل بتحوّل العصور . وهذا التحولّ ينبع من عوامل الحضارة وما تتأثر به النفوس من عوامل خاصّة . والنفس واسعة كالدنيا

لا حدود لها ، وطوارئ التحسينات المادية من مخترعات متنوعة . ومن هنا يأتي التجدد في الشعر العربي من مختلف بلدان الشرق على الصور التي طالعنا دواوينها ، ومن هنا يأتي الطور الحديث الذي هو أثر من آثار الاتصال القويّ بين المدنيّتين الشرقية والغربية .

وفي هذا العهد ، وهو عهد انتقال ، قد يبدو لنا الشعر ضعيفاً لأنه اذا قيس الى مقولات الأزمنة السابقة لا يضارعها إجادةً وحسن أداء ، ولكنه بما أحدث فيه من أفكارٍ وأخيلةٍ مستمدّة من العصر الراهن وأحواله ، لابدّ أن يفضي إلى ازدهار كبير تلقى فيه مختارات المحاسن التعبيرية في نواحي التفكير والخيال .

فإذا بدا لنا استنكار شيء من هذا الجديد ، فهو لأن الجديد بالذات ليس في الواقع غاية أدركناها ، وانما هو تمهيد لأدبٍ متى استقرّت عواطف الجمهور وأحاسيسه وأفكاره على قبوله واستحسانه ، يستطاع — فيما يعتقد — الحكم بأننا قد خطونا في السبيل التي كان لا بدّ لنا من المرور بها لبلوغ الغاية الجديدة . ولا يخفى عليك أنه لا تكون موجة عالية إلا بعد أن تسبقها موجة منخفضة .

قلت : يلاحظ أن شخصية أدبنا العربي بين الآداب العالمية أقرب الى الجمود ، فترى السبب وكيف نعالجه ؟

قال : في الواقع ان مصدر ضعفنا الأول هو أن الكثيرين من كتابنا لا يملكون القدرة على الإحاطة بالموضوع قبل الكتابة عنه . فنحن إذا وصفنا أو تحدثنا ، جئنا في كل ذلك بمظهر الشيء لا مخبره ، واستعنّا بالخيال قبل الاستعانة بالواقع . فقلّ أن يجد القارىء في كتابتنا الكائن الحيّ الذي يعرفه في نفسه وفيمن حوله ، وبواعثه المختلفة . ولعل ضعف أداة كتّابنا وشعرائنا اللغوية في مقدمة دواعي عجزنا .

ولذلك ، يجب أن نتمكن من لغتنا التمكن الكافي لأداء الأغراض كبيرة وصغيرة ، وأن يعمل الكاتب أو الشاعر على أن يخلق الشخصية الحقيقية القائمة لمن يكتب عنهم أو لما يكتب عنه ، كما يخلق شخصيته الخاصة ، وذلك بأن يتوفر على دراسة كل ما يجب الكتابة عنه والقول فيه ، بالتدقيق والتسلسل ، وتبيّن العلل والمعلومات ، لا تفوته أجزاء في الظاهر ولا دقيقة في الباطن .

ومن هنا ترتسم شخصية الكاتب أو الشاعر ، وتنطبع فى النفوس . أما أن يكون فقط لمّاماً لم يأت بشيء من عنده ، فهذا لا يمكن أن يدخل بين أصحاب العبقريات ، والعبقرية كما عرفوها هى الصبر الجميل .

من أين خلقت عبقرية تشرشل وشكسبير وراسين وكورنيل وغيرهم ؟ إنهم عرفوا ما يريدون ، وتابعوا فى كثيرٍ من الصبر الجهاد فى سبيل الوصول الى مطلبهم حتى وصلوا اليه.

قلت : هل بين أدبائنا وشعرائنا فى بلاد الضاد من يصلح أن يكون كاتباً أو شاعراً عالمياً ؟

قال : لا مع الأسف . ان بعض الكتب والقصائد التى استحسنت بين أبناء العربية حين ترجمت لم يبلغ أثرها فى الأقطار الأجنبية أدنى ما بلغه بيننا . إننا حتى الآن فى طور التجارب ، وهى محنة . هل رأيت كاتباً أو شاعراً صوّر لك فوجدت فى كتابته أو شعره صورتك ؟ ان هذه الحالة تدعونا إلى بذل الجهد ليدرك رجالنا الممتازون الدرجة التى أدركها الرجال الممتازون فى الأمم الأخرى .

قلت : هل للجوّ تأثير على الانتاج ؟ وما ترى فى جوّ السودان من هذه الناحية ؟

قال : إن للجوّ تأثيراً على الانتاج حقيقة . ولذلك فالبلاد الشمالية دائماً أكبر إنتاجاً من البلاد الجنوبية . على أن عوامل الجوّ يمكن أن تحارب بالتربية الخاصة ، مما يجعلها تدفع الى أن ننتفع بها ونستخرج خير ما يمكن أن ينتفع به ويستخرج من الكائن الحىّ .

ولعلّك تلاحظ الدلالة على فعل الجوّ بأن نشاطك خلال البرد يدفعك إلى أعمال لا تستطيعها فى الحرّ إلا وأنت متكلف تعب . كما أن للجوّ الجبلىّ أثراً لا يكون لجوّ الوادي، وهكذا .

على أن تنوّع التربية فى الأمم المختلفة يخفّف قدر الإمكان من مفعول الجوّ .

وقد جاء فى الكتاب الكريم « ولو شاء ربّك لجعل الناس أمة واحدة » . إنها الإنسانية مهما تعددت ، فهى كالجسم كل جزء منه يؤدى خدمة خاصة .

ولقد اتضح كثيراً أن رياضة النفس بالتدريب والتوجيه فى هذه الناحية تأتى

بالمعجزة كما هو الحال فى التدريب العضلى الرياضى ، مما نشاهده فى الاستعراضات الرياضية وألعاب الحواة .

ورجلٌ أجنبيٌ عن السودان فى موجات الحرّ التى تكابدها هذه البلاد ، قلّ أن يوفّق إلى إنتاجٍ حسن . ولكن السودانى يستطيع بتمرّسه على خصائص بلاده الاقليمية وترويض نفسه أن يوفّق الى كثير .

وما من شىء يدخل فى دائرة المستحيل فى هذه الدنيا فى تكوين الأمم وترقية وسائلها لبلوغ الغايات التى ترى أنها خصّت بها وخلقت لها » .

***

ونشرت مجلة « السودان الجديد » فصلاً عن « شاعر القطرين خليل (بك) مطران» فى عددها الصادر يوم ٢٦ يناير ١٩٤٥ جاء فيه :

« يحظى السودان فى هذه الآونة بزيارة (حضرة صاحب العزة) الشاعر الذائع الصيت خليل (بك) مطران شاعر القطرين . بل من الناس الآن من راح يلقّبه بشاعر الأقطار العربية . ولا غرو ، فالوحدة العربية التى يعمل لها الآن أقطاب السياسة فى بلاد الشرق العربى قد كان لها فى لقب الخليل « شاعر القطرين » أسطع الأدلة ، إذ طفق هذا الشاعر الكبير يؤدى رسالة هذه الوحدة منذ سنوات وسنوات .

والخليل ليس بالمجهول المكانة من أدباء قطرنا السودانى ، فهو محبوب منهم . وقد حدث أن راسله بعضهم إعجاباً به . ومما يروى بهذا الصدد أن البريد قد حمل يوماً إلى مطران وهو بالقاهرة رسالة من السودان يقول فيها مرسلها السودانى إن له صديقاً عزيزاً لديه استأثرت به رحمة الله ، فأصبحت حياته بعد فراقه لا تطاق . ورجاه أن يبعث إليه بشىء من شعره يكتبه على صورة الفقيد التى كانت مع الرسالة . فلم يخيّب الشاعر الرقيق الإحساس رجاء صاحب الرسالة الحزين الذى لم تكن له به معرفة شخصية ، بل نزل عند رغبته وأعاد إليه الصورة بعد أن كتب عليها هذا الشعر الرصين :

يا صديقاً : شعرت إذ بان عنى ... انه حيل بين روحى وبينى !
فغدونا طيفين ، ترمق رسمى ... منه عين ، ورسمه نصب عينى !

وخليل مطران هو ثالث ثلاثة ما برحت لهم الصدارة فى دولة الشعر العربى فى هذا العصر . ويحكى عن المطران انه قال : أنا وحافظ وشوقى يتكوّن منا «شاعر» !

والمطران هو من أبناء الأسر الوجيهة فى بلاد الشام . وكان مولده عام ١٨٧٣ فى بعلبك . وبعد أن نهل من معين المعارف فى مدارس بيروت وتلقى أسرار اللغة العربية على أيدى الشيخين خليل اليازجى وشقيقه ابراهيم ، سافر إلى فرنسا ، وأتم علومه العالية بمدينة النور . وعندما هبط أرض الكنانة عام ١٨٩٣ ، اشتغل بالصحافة فى جريدة « الأهرام » ، ثم أنشأ « المجلة المصرية » عام ١٨٩٩ وأسس بعدها مجلة « الجوائب المصرية » . ومن ثم ذاع فضله وأدبه بين قراء العربية .

وهو الآن من الخبراء الذين يستأنس بآرائهم فى المسائل الاقتصادية وإدارة البنوك . وله من المؤلفات « مرآة الأيام فى التاريخ العام » وديوان شعره وبعض المعرّبات والتمثيليات .

وكتبت عنه مجلة « الزهور » ، وهى من المجلات القاهرية التى كانت تصدر قبل نشوب الحرب العالمية الأولى ، قالت :

« نشأ خليل تحت سماء سوريا بين أوديتها الخضراء وجبالها البيضاء ، أمام بحرها الصافى وأمواجه الزرقاء . فجاء شعره رقيقاً لطيفاً وترعرع وشب فى وادى النيل بين آثار المدنية القديمة وصروحها العظيمة ، فكان إنشاؤه فخماً عظيماً . . . فالخليل شاعر الشعور والخيال ، وشاعر بعلبك والأهرام . . . أما من حيث المبنى فقد عرف كيف يستفيد من لغات الأجانب دون تقليد ، وينهج نهج قدماء العرب دون تقييد ، فاحتفظ بصيغة العرب فى التعبير ، وأدخل أساليب الفرنجة فى التأليف والتفكير » .

ومما هو خليق بالذكر ، أن خليل مطران هو أول شاعر فى مصر أقيمت له حفلة

تكريم كبرى بالجامعة المصرية فى يوم ٢٤ ابريل ١٩١٣ تحت إشراف الخديوى عباس الثانى ، عند ما منحه (سموه) نيشاناً رفيع الشأن اعترافاً بفضله على الأدب . وقد افتتح هذه الحفلة (الأمير) محمد على نيابة عن شقيقه الخديوى عباس .

وإلى القارئ بعض ما قاله (الأمير) محمد على فى خطبة الافتتاح :

يسرّنى أن أرأس حفلة أدبية لتهنئة شاعر مجيد له فى مصر والشام أصدقاء كثيرون يقدّرونه حق قدره .

ثم قال (سموه) أخيراً فى تلك الخطبة الطويلة :

وللأسباب التى أبديتها ، أعدّ مطران الشاعر العصرى الذى نحتفل به من الطبقة العالية الراقية الرفيعة . ولهذا أترك لكم أيها الشعراء والخطباء العناية بإيفائه حقّه من التمجيد والتكريم . والله يؤتي كل ذى فضلٍ فضله ، والله ذو الفضل العظيم .

وقد اشترك فى تكريم « مطران » نخبة من أدباء العربية وشعرائها البارزين ، وفى مقدمتهم شوقى وحافظ .

وقد جاء فى قصيدة شبلى (بك) ملاّط مندوب أدباء سوريا ولبنان فى الحفل قوله :

فاهنأ بما أدركته ولعلّه	قد جاء توطئة لخير مقام
واحرص على اخوانك الغر الألى	قاموا بعهد ولاك أي قيام
أما أنا فبلطف روحك شاعر	والشوق شوقى والهيام هيامي
فاذا سمعت النوح فهو صبابتى	وإذا استطبت الريح فهو سلامى

والحق إنه يُعزى إلى « مطران » الفضل فى إنشاء مدرسة الشعر التجديدية فى الأدب المعاصر ».

فهرس

استـــدراك

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٨	٤	سبسب	وسبسب
٤٨	١٠	ولممّا	ولمّا
٤٨	١٠	ومفى	ومض



مؤلفات الدكتور يوسف نحاس

١ — الفلاح (حالته الاقتصادية والاجتماعية) باللغتين العربية والفرنسية .

٢ — مصر وزراعة الدخان — باللغتين العربية والفرنسية .

٣ — للذكرى (حالتنا المالية والاقتصادية عام ١٩١١ — ١٩٤٣) .

٤ — القطن المصرى (برنامج سديد لاستغلال الأرض الزراعية) تأليف المسيو ص . أفيكدور وترجمة الدكتور يوسف نحاس سنة ١٩٣٣ .

٥ — العيد الخمسينى للمحاكم الأهلية (ترجمة خطبتى المغفور له عبد العزيز فهمى باشا والمغفور له محمد لبيب عطيه باشا الى اللغة الفرنسية بقلم الدكتور يوسف نحاس) سنة ١٩٣٣ .

٦ — كتاب « الأحوال الزراعية فى القطر المصرى أثناء حملة نابليون بونابرت » بقلم المسيو ب . س . جيرار وترجمة الدكتور يوسف نحاس وخليل مطران سنة ١٩٤٢ .

٧ — تقرير عن حالة السودان الاقتصادية والاجتماعية — مارس سنة ١٩٤٥ .

٨ — صفحة من تاريخ مصر السياسى الحديث (مفاوضات « عدلى — كرزن ») بقلم الدكتور يوسف نحاس سنة ١٩٥١ .

٩ — مجلة الرابطة الفرنسية . كلمة الدكتور يوسف نحاس فى تأبين المغفور له الكومندور الياس توتونجى ١٨٩٠ — ١٩٤٧ .

١٠ — جهود النقابة الزراعية المصرية العامة فى ثلاثين عاماً يقدمها الدكتور يوسف نحاس سنة ١٩٥٢ .

١١ — ذكريات (سعد . عبد العزيز . ماهر ورفاقه فى ثورة ١٩١٩ . تصرفات حكومية) بقلم الدكتور يوسف نحاس سنة ١٩٥٢ .

١٢ — القطن فى خمسين عاماً . بقلم الدكتور يوسف نحاس سنة ١٩٥٤ .

١٣ — ذكريات السودان . بقلم الدكتور يوسف نحاس سنة ١٩٥٥ .

